



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة آكلي محند اولحاج - البويرة -
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



قسم: العلوم الإنسانية

تخصص: تاريخ

الموضوع:

أهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني

دراسة اجتماعية واقتصادية ما بين القرنين (7هـ-10هـ/13م-16م)

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر في التاريخ الإسلامي الوسيط

تحت إشراف الأستاذ:

- أ. مصطفى سعداوي

من إعداد الطالبتين:

- بسمة بلحامدي

- حنان كحلول

السنة الجامعية: 1435-1436هـ / 2014-2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار...إلى من كلله الله بالهبة والوقار...إلى من علمني العطاء بدون انتظار...أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار...والدي العزيز "محمد"

إلى معنى الحب والحنان...إلى من كان دعائها سر نجاحي... وحنانها بلسم جراحي...إلى أعلى الحبايب أمي الغالية "زهية"

إلى من بها أكبر وعليها أعتد، إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها إلى من عرفت معها معنى الحياة أختي "سمراء"

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل إلى سندي وقوتي وملاذي أخي الصغير "يعقوب" أملنا في الحياة إلى من أرى فيه أبا أعتد عليه زوج أختي العزيز "لخضر"

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى أولاد أختي الكتكوتين "لؤي" و "أنفال" إلى جدتي العزيزة أطل الله في عمرها

إلى من أفنخر ب صداقتها إلى توأم روحي ورفيقة دربي إلى من تجمع بين سعادي وحزني أختي "حنان"

إلى من قضيت معهم أجمل اللحظات صديقاتي: "سلمية، رشيدة، فطيمة، حكيمة، دنيا، رقية، إيمان، صارة، مليكة"

بسمه

الإهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما، إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلها والذي
الكريمين أطال الله في عمرهما: أبي العزيز "بلحوت" وأمي الغالية "عائشة".

إلى من أرى التفاؤل في عينيه ن والسعادة في ضحكته، إلى شعلة الذكاء والنور قرّة عيني أخي
"سعيد".

إلى من علمتني الحياة وأظهرت لي ما هو أجمل من الحياة أختي العزيزة الأستاذة "ربيحة".

إلى سندي وقوتي إلى رياحين حياتي أخواتي: وردة وزوجها "كمال"، سلوى وزوجها "يوسف"،
جميلة، حكيمة، فاطمة، والصغيرة إيمان.

إلى خطيبي "عادل".

إلى توأم روحي ورفيقة دربي إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة إلى من رافقتني خطوة
بخطوة وما زالت ترافقني حتى الآن "بسمة"

إلى جميع صديقاتي وأخص بالذكر: "فطيمة، رشيدة، سليمة، حكيمة، سعيدة، دنيا، رقية، إيمان،
صارة، مليكة"

حنان

الشكر والتقدير

بعد أن منَّ الله علينا بالتوفيق بإكمال هذه الرسالة، لا يسعنا إلا أن نتوجه لله العلي
التقدير بالحمد والثناء، وإلى كل من ساعدنا بالشكر الجزيل، وعلى رأسهم الأستاذ
المشرف "مصطفى سعادوي"، على ما أولاه لنا من نصائح وإرشادات قيمة لفائدة
الموضوع، وإلى جميع أساتذة قسم التاريخ بجامعة أكلي محمد أولحاج بالبويرة، كما نتقدم
بخالص الشكر والامتنان للزميل "عزالدين" الذي لم يتوان لحظة في تقديم جميع
المساعدات الضرورية لإنجاز هذا البحث.

المقدمة

المقدمة

عرفت منطقة المغرب الإسلامي بعد سقوط دولة الموحدين سنة 1269 م حالة من عدم الاستقرار. وذلك بسبب القلاقل والتمردات التي كانت تتسبب فيها بعض القبائل، وبالأخص نتيجة للتنافس الذي استشرى مع بداية القرن السابع هجري بين الممالك الثلاث التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية وهي الدولة المرينية بالمغرب الأقصى والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى ودولة بني زيان بالمغرب الأوسط.

وقد سعت هذه الأخيرة فور انفصالها عن الدولة الموحدية الآخذة في الانحلال الى تثبيت كيائها وترسيخ دعائمه. وهو ما جعلها علاوة على موقعها الجغرافي الوسط محل استقطاب للعديد من المهاجرين من مختلف أقاليم المغرب الإسلامي وحتى من خارجه. إذ عرف المغرب الأوسط إبان هذه الفترة هجرات متنوعة، سيما من بلاد الأندلس عقب سقوط آخر معاقل المسلمين فيها سنة 1492 الأمر الذي أسهم أكثر في تنوع المجتمع الزياني وتعدد فئاته من عرب وبربر وعجم ومسلمين وذميين (يهود، نصارى).

وفي هذا السياق، يستوقفنا دور الفئة الأخيرة التي كان من المتوقع بحكم "وضعها الدخيل" بالنسبة للمجتمع الزياني المسلم أن يكون دورا هامشيا. بيد أن المصادر التاريخية تشير الى أنها مثلت إحدى الفئات الهامة في المجتمع المذكور وهو ما تعكسه الأدوار النشطة التي اضطلعت بها لاسيما في المجالين الاجتماعي والاقتصادي. وساعد على ذلك الأمان الذي شعرت به والحرية التي تمتعت بها في ممارسة أعمالها المختلفة بفضل تسامح الدولة والمجتمع الاسلاميين معها. هذه الظاهرة الاجتماعية - خلال هكذا مرحلة تاريخية تميزت باستشراء الصراعات الدينية - تثير الانتباه وتستدعي التأمل والدراسة. وهو ما حدا بنا الى اصطفاؤها موضوعا للبحث، آمليين في سبر أغوارها وتسليط الضوء على بعض مناطق الظل التي تكتنفها. وذلك من خلال السعي الى الاجابة على التساؤلات التالية:

- ما هي انعكاسات هجرة أهل الذمة من الأندلس الى المغرب الأوسط على المجتمع الزياني؟

- إلى أي مدى كان هنالك تعايش سلمي حقيقي بين الطوائف الدينية في المجتمع الزياني؟

- كيف مارس أهل الذمة عاداتهم الاجتماعية وحافظوا على تقاليدهم الثقافية في بيئة اجتماعية مخالفة؟

- ما هو الدور الذي لعبه الذميون في الاقتصاد الزياني؟ وهل كان للاختلاف الديني والتباين الاجتماعي - الثقافي تأثير على ذلك؟

قصد الإجابة على هذه التساؤلات، اعتمدنا منهاجا وصفيا تحليليا يتيح لنا وصف الواقع الاجتماعي والاقتصادي لأهل الذمة (يهود ونصارى) إبان "العهد الزياني" مع إخضاعه للتحليل بغية استكشاف المعاني والدلالات التاريخية العميقة التي يستبطنها.

واستقينا المادة العلمية لهذا البحث من مصادر ومراجع متنوعة، وفيما يلي عرض لأبرز أصنافها:

أولاً: كتب الفقه والعقيدة: وبشكل خاص كتاب " المعيار المعرب والجامع المغرب لفتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب" لمؤلفه الفقيه أحمد بن يحيى الونشريسي وهو يحتوي على الفتاوى والنوازل من منظور الفقه المالكي، وقد أفادنا كثيرا في معرفة موقف المجتمع الزياني من الطوائف غير المسلمة (يهودًا و نصارى)، كما ساعدنا على رسم صورة حية عن الحياة اليومية لأهل الذمة داخل المجتمع الزياني (اللباس، الزواج، الأعياد، التجارة... الخ)، ومدى اندماجهم فيه. وكتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي، الذي اهتم بتعريف أهل الذمة وشروط عقد الذمة وأحكام الجزية وكيفية دفعها، مع إبراز قواعد تعامل المسلمين مع غير المسلمين من يهود ونصارى. وكتاب " تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" لعبد الله الترجمان،

الذي يعتبر من أهم كتب الجدل الديني التي تناولت أصول الديانة النصرانية ومدى تباينها مع الدين الإسلامي، كما سلط الضوء على أعيادهم الدينية.

ثانياً: كتب التراجم والطبقات: على غرار كتاب " بغية الرواد في ذكر العلماء من بني عبد الواد" لصاحبه أبي زكريا يحيى ابن خلدون، الذي يعتبر من أهم مصادر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة الزيانية، كما يتضمن معلومات قيمة عن حياة أهل الذمة في المجتمع الزياني.

ثالثاً: كتب الجغرافيا من أهمها كتاب " المسالك والممالك" لأبي عبيد الله البكري، الذي ساعدنا في معرفة كيفية قدوم النصارى للمغرب وأهم المراكز التي استقر بها الذميين (يهود و نصارى). وكتاب الحميري "الروض المعطار في أخبار الأقطار" الذي استفدنا منه في رصد وتحديد الأقاليم والمدن المغربية التي تمركز بها أهل الذمة. وكتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، الذي يعد شهادة حية عن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لفترة متأخرة من تاريخ دولة بني زيان، كما يتضمن وصفاً دقيقاً لأبرز مدن المغرب الأوسط، من ضمنها تلمسان التي زارها وعاش ردحا من الزمن.

رابعاً: كتب التاريخ العام: وأهمها على الإطلاق "تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر" لصاحبه عبد الرحمان ابن خلدون، الذي يعتبر من أهم مصادر القرن 8هـ / 14 م ، وبشكل خاص أعطانا نظرة تاريخية عن تلمسان ونشأتها.

كما استأنسنا بالعديد من المراجع؛ نذكر منها كتاب "نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية" لبوزيان الدراجي الذي حلل منظومة الحكم في الدولة الزيانية بأسلوب علمي وقارنها بنظيراتها في دول الجوار. وكذا كتابان للمؤلف اليهودي "حاييم الزعفراني" أحدهما بعنوان: "ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب" تناول فيه طقوس وعادات وتقاليد اليهود عموماً واليهود المغاربة خصوصاً والثاني بعنوان "اليهود في المغرب والأندلس" أورد فيه معلومات هامة عن حياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية لليهود ببلاد المغرب. ولا يفوتنا التنويه بمرجع أفادنا كثيراً فيما يخص الطائفة اليهودية في بلاد المغرب الإسلامي وهو كتاب "اليهود في

المغرب العربي" لمؤلفه "عبد الرحمان بشير" الذي حدد مناطق الاستقرار اليهودي في الشمال الإفريقي منذ الفتح الإسلامي حتى قيام دولة المرابطين وأسباب ذلك، وتطرق لنشاطهم الاقتصادي، كما رصد عاداتهم وتقاليدهم ومدى تأثيرهم بالبربر والعرب، واعتنى كذلك بالجانب الثقافي والعلمي لهم مبرزاً أهمية التعليم و اللغة العربية عندهم. وقد اقتضت طبيعة هذا البحث ترتيبه على أساس موضوعي في ثلاث فصول عبدنا لها المسار بفصل تمهيدي.

وقد حاولنا في هذا الأخير ضبط بعض المفاهيم الفقهية والتاريخية الأساسية التي تمحورت حولها هذه الدراسة لاسيما مفهوم أهل الذمة وشروط العقد الذي يربطهم بالمجتمع المسلم.

وعالجنا في ثنايا الفصل الأول الموسوم بـ "الدولة الزيانية والتواجد الذمي ببلاد المغرب الأوسط" جغرافية بلاد المغرب الأوسط وظروف قيام دولة "بني زيان"، كما توقفنا عند أهم الهجرات اليهودية والمسيحية التي شهدتها هذا المجال الجيو-سياسي.

وتطرقنا في الفصل الثاني المعنون بـ "الحياة الاجتماعية لأهل الذمة" الى العادات والتقاليد التي ما فتئت طائفتي اليهود والنصارى تمارسها في كنف "دولة بني عبد الواد"، سيما تلك المتصلة بأهم المناسبات الاجتماعية والدينية من زواج وختان ودفن للموتى وأعياد مختلفة... هذا الى جانب تسليط الضوء على أبرز ممارساتهم الروحية وأهم أنشطتهم الثقافية.

واستعرضنا في الفصل الأخير المتعلق بـ "الحياة الاقتصادية لأهل الذمة" نشاطهم في مجالي الزراعة وتربية المواشي، وكذا المهن والصناعات المختلفة التي مارسوها، زيادة على دورهم في المبادلات التجارية بالأخص فئة اليهود.

وذيلنا البحث بخاتمة حوت أهم النتائج التي خلصنا إليها، وأتبعناها بعدد من الملاحق التي تلقي مزيداً من الضوء على مضامين الدراسة.

وواجهتنا في سبيل إنجاز هذا العمل صعوبات جمة، ولعل أجدرها بالذكر غياب المصادر الأساسية في مكتبتنا الجامعية، الأمر الذي فرض علينا حمل عصا الترحال الى مكتبات نائية. وزاد هذه المشكلة حدةً ضيقُ الوقت المتاح، علاوة على قلة ذات يد الطالب... ولا ينبغي أن نقوتنا -هنا- الاشارة الى تركيز المادة الوثائقية في حالة توفرها على الطائفة اليهودية دون نظيرتها المسيحية.

وأخيرا وليس آخرا، إذا كان من الأمانة أن ننسب الفضل لأصحابه، فإن من دواعي الفخر والاعتزاز أن ننوه بكون هذه الدراسة تمت تحت إشراف الأستاذ المحترم "مصطفى سداوي"، فله منا جزيل الشكر.

الفصل التمهيدي

أولاً: التعريف بأهل الزمة

ثانياً: شروط عقد الزمة

أولاً: تعريف أهل الذمة:

إن الشريعة الإسلامية نظام شامل لجميع شؤون الحياة، مما جعلها صالحة في كل زمان ومكان، ولم تقتصر أحكامها على المسلمين فقط بل تناولت أحكام غير المسلمين في البلاد الإسلامية و من ضمنها أحكام أهل الذمة.

فالمراد بأهل الذمة هم المعاهدون من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ومن جرى مجراهم كالمجوس في الدولة الإسلامية الذين يُعطى لهم عهداً يأمنون به على مالهم وعرضهم ودينهم¹. وأهل الذمة هم المستوطنون من غير المسلمين في البلاد الإسلامية، والذمة في اللغة هي العهد والكفالة والضمان، والجمع ذمام، أي كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة، ورجل ذمي أي له عهد، وأهل الذمة سموا بأهل العقد² وهم الذين يؤدون الجزية من أهل الكتاب و قيل الذمة الأمان، وسمي الذمي لأنه يدخل في أمان المسلمين وذمتهم³، ويرى "ابن منظور" أن الذمة هي العهد، والعهد أي الميثاق، و هو ما يجب الوفاء به، لأن نقضه يوجب الذم⁴. و قد جاء في القرآن الكريم (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)⁵، وفي هذا المعنى ورد قوله تعالى: (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ

¹ - أبي الفتح المقرئ، المغرب في ترتيب المغرب، (تح): محمد فاخوري، عبد الحميد مختار، مكتبة لبنان الناشر، ط1، بيروت، 1999، ص 104.

² - هذا العقد بمثابة عهد أو معاهدة تبرم بين ولي أمر المسلمين و أهل الذمة، و تتضمن شروط أساسية لا بد من احترامها و الوقوف عندها، وقد اختلفت صيغة تلك العقود و مضامينها باختلاف الولاة و الأمصار، و قد رأى الماوردي أنه يتوجب على الإمام أن يثبت ما استقر من عقد الصلح معه في دواوين الأمصار ليأخذوا به إذا تركوه فإن لكل قوم صلحا ربما خالف ماسواه.

انظر: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (تح) سمير مصطفى، المكتبة العصرية، بيروت، 2001، ص 72.

³ - محب الدين محمد الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (تح): علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1994، باب الميم، مادة: مج16، ص264-265.

⁴ - ابن المنظور جمال الدين، لسان العرب، (تح): علي بشيري، دار احياء التراث العربي، ط1، 1988، ص349.

⁵ - سورة الإسراء، الآية 34.

لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا نِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ¹ و قد فسر "الإل" بالقرابة وفسرت "الذمة" بالعهد²، كما أن أهل العقد³ قد يكونون أهل ذمة وأهل هدنة وأمان، وأهل الذمة هم كل من يؤدي الجزية من الكتابيين، وهؤلاء لهم ذمة إذ عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله فأصبحوا بذلك في ذمة المسلمين وأعطوا الأمان على أنفسهم وذويهم وأملاكهم وحررياتهم الدينية والمدنية.

وأهل الهدنة والأمان هم الذين صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم سواء كان الصلح على مال أو على غير مال لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة، إذ هم مقيمون في دارهم لكن عليهم بالكف على محاربة المسلمين، وهؤلاء يسمون أهل الصلح وأهل الهدنة⁴.

وإذا كان اليهود والنصارى هم أهل الذمة من أهل الكتاب، فإن المجوس أيضا أدرجوا ضمنهم على الرغم من أنهم غير الكتابيين، واستشهد الفقهاء بأن الخليفة "عمر بن الخطاب" اخذ الجزية من المجوس بشهادة من الصحابي "عبد الرحمان بن عوف" مؤداها أن "الرسول صلى الله عليه وسلم" اخذ الجزية من المجوس⁵، وقوله ﷺ: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)⁶.

¹ - سورة التوبة، الآيتان 7، 8.

² - المحلي جلال الدين محمد بن احمد، السيوطي جلال الدين عبد الرحمان، تفسير الجلالين، مكتبة الصفاء، القاهرة، ط1، 2002، ص188.

³ - يعامل المعاهدون بمقتضى عهدهم، وليس العهود من نوع واحد ولا هي جميعا كعهود نوع من أنواع التعاقد الدولي لإقرار السلم وتبادل المنافع، فهي في نظر الإسلام عهود مقدسة لها حرمة دينية لا تسمح بالخديعة والكذب.

انظر: سليمان إبراهيم، معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام، دار المنار، القاهرة، ط1، 1994، صص 17، 18.

⁴ - حسن الممي، أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، تقديم الشاذلي القليبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص127.

⁵ - أبو الحسن علي بن محمد، الماوردي، المصدر السابق، ص164. / شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، (تح): طه عبد الرؤوف سعد، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ط1، 1995، ج1، صص 18، 19.

⁶ - احمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (تح): محمد حسين، دار الفكر، بيروت، 1987، ج13، ص360.

واشترط في أخذها من السامرة¹ موافقتهم لمعتقدات اليهود وكذلك الأمر بالنسبة للصابئة إذا وافقت أصولهم أصول النصرانية²، وبالتالي فإن أهل الذمة سواء كانوا أهل كتاب أو أهل عقيدة أو أهل ملة ليس لها كتاب فإن لهم العهد بمقتضى ذمة الله ورسوله لأنفسهم وأعراضهم، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام يكفل لهم ذلك وبشدة في قوله: (ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته أو انتقص من حقه أو اخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فانا حججه يوم القيامة)³.

ومما تجدر الإشارة إليه ان الجزية فرضت في السنة الثامنة للهجرة بعد "غزوة تبوك" في وقت أصبحت فيه "الجزيرة العربية" (بعد فتح مكة) تحت السيطرة الإسلامية، ازاء ذلك حددت الشريعة الإسلامية الوضع القانوني لأهل الذمة من خلال المنهج القرآني: (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)⁴. وقد جرى الفقهاء على الاهتمام بتفسير حقوق وواجبات أهل الذمة من خلال الآية الكريمة (...حتى يعطوا الجزية...) حيث فسرت هذه الآية تفسيرين

أحدهما حتى يدفعوها فعلا، وثانيها حتى يضمونها فإذا ضمنوها يجب الكف عنهم⁵، وسميت جزية من الجزاء بمعنى أنهم يدفعونها إما جزاء على كفرهم، وإما جزاء تأمينهم في ديار المسلمين والدفاع

¹ - السامرة : فرقة دينية نشئت في فلسطين بعد سقوط مملكة إسرائيل على يد ملك آشور سنة 738 ق. م ويذهب بعض الباحثين بأنها نشأت أيام السبي البابلي 586 ق. م.

انظر: مراد فرج، القرآون والريانون، مطبعة الرغائب، القاهرة، 1918، ص ص13، 18.

² - القلقشندي ، مصدر سبق ذكره، ص360.

³ - سليمان ابراهيم، مرجع سبق ذكره، ص15.

⁴ سورة التوبة، الآية 29 .

⁵ - الماوردي، مصدر سبق ذكره، ص164. / متر ادم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع هجري، (تر) محمد عبد الهادي ابو

ريدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1976، ج1، ص ص88، 89.

عنهم وحمائيتهم وهو الأرجح¹.

ولا تؤخذ الجزية إلا من القادرين ماليا الذين يستطيعون حمل السلاح وأداء ضريبة القتال، فهي بدل التجنيد في جيش المسلمين وليست بدلا من الإيمان بالإسلام، لهذا لم تفرض على الرهبان ورجال الدين، والدليل على ذلك أنها لم تفرض على الذين اختاروا أداء ضريبة الجندية في صفوف المسلمين ضد الفرس والروم وهم على ديانتهم غير الإسلامية في الشام والعراق ومصر حيث اقتسموا الغنائم بالمساواة مع المسلمين².

وذكر الإمام ابن القيم أن الناس اختلفوا في طريقة دفع الجزية للمسلمين، وأورد عدة أقوال في هذا الشأن منها طائفة تقول أن الجزية يجب أن يأتي بها الذمي ماشيا لا راكبا ويطيل وقوفه عند إتيانه بها، ويجر إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف إلى غير ذلك من الأقوال والتأويلات، وقد عقب "ابن النعيم" بالقول: "وهذا كله ما لا دليل عليه ولا تقتضيه الآية، ولا نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم" ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك، والصواب في الآية أن الصغار هو التزامهم بجريان أحكام أهل الملة عليهم وإعطاء الجزية، وهو أشبه بما اصطلح على تسميته في هذا العصر بخضوع الأجانب لقوانين الدولة التي يقيمون بها إقامة دائمة و مؤقتة³.

ثانيا: شروط عقد الذمة:

جعل الفقهاء عقد الذمة قسمين قسم مستحق وقسم مستحب، وهما اثنا عشر شرطا، الشروط الاولى استهدفت حماية الاسلام والجماعة الاسلامية، وتتفق في مجملها مع روح الشريعة

¹ - قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1987، ص85.

² - محمد عمارة، الاسلام والاقليات، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2003، ص15.

³ - حسن الممي، مرجع سبق ذكره، ص90.

الاسلامية من عدم الاكراه، ورعاية الذمي من اهل الكتاب¹ كما جاء في وصية "الرسول صلى الله عليه وسلم" من الرفق بهم وعدم التعدي عليهم حيث قال: (من ظلم ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة)، كما قال "رسول الله ﷺ" (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)².

ومجمل الاحكام الستة المستحقة هي:

- ألا يذكروا كتاب الله بطعن ولا تحريف.
- أن لا يؤذوا رسول الله بتكذيب ولا ازدراء.
- أن لا يذكروا دين الاسلام بزم ولا قدح.
- أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا نكاح.
- أن لا يفتتوا مسلماً عن دينه، ولا يتعرضوا لماله ودمه.
- أن لا يعينوا اهل الحرب ولا يؤذوا أغنيائهم.

أما الشروط المستحبة فواضح انها من وضع الفقهاء في مرحلة متأخرة مغالاة منهم في فرض القيود على غير المسلمين وهي:

- تغيير هيئاتهم بلباس الغيار وشد الزنار³.
- أن لا يعلوا على المسلمين في الابنية.

¹ - روى محمد بن الحسن بإسناده عن رسول الله ﷺ: "انه اقاد مؤمنا بكافر" اي قتل مسلماً في ذمي وقال: "انا احق من وفي بذمته".

انظر: سليمان ابراهيم ، مرجع سبق ذكره، ص16.

² - الحبيب الخوجة، يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ، 1973 ، ص ص16،10.

³ - زنار جمعه زناير وهو حزام او وشاح تميز بلبسه اهل الذمة في العصور الوسطى وهو في الاصل عبارة عن حبل غليظ يلف حول الوسط، وقد تحايل اهل الذمة في صنعه من الحرير مما حدا بأحد القضاة الى تحديد سمكه بحجم الاصبع.

انظر : محاسن الوقاد، اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجينزا، الهيئة المصرية للكتاب، 1999 ، ص149.

- أن لا يسمعوهم اصوات النواقيس ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عزير والمسيح.
- أن لا يجاهروهم بشرب خمورهم وبإظهار صلبانهم وخنازيرهم.
- أن يخفوا دفن موتاهم و ألا يجاهروهم بندب ولا نياحة.
- أن يمنعوا من ركوب الخيل¹.

إن هذه التفصيلات المتشعبة توحى بكثرة الإدراج على الأصول الأولية التي شرعها الرسول عليه الصلاة والسلام والتي انتهجها الخلفاء من بعده في العهود التي أبرموها مع أهل الذمة كالعهد العمري والذي ظل مجهولاً بصورته التقليدية طوال القرنين الأولين من الهجرة ولم يظهر بشكله النهائي سوى في أواخر القرن الثاني هجري. وما أُضيف بعد ذلك من اشتراطات متناقضة مع ما جاء في هذا العهد ما هي إلا من قبيل المغالاة في التفرقة بين المسلمين وأهل الذمة².

ولقد أورد القلقشندي³ اشتراطات عدة لعقد الذمة منها: التزام المعنيين بدفع الجزية، وضيافة من ينزل منهم من المسلمين لمدة لا تزيد عن ثلاثة أيام، والرضا بأحكام القضاء الإسلامي إذا ترفعوا إليه، وأن لا يركبوا الخيل، وأن ينزلوا المسلمين صدر المجلس و صدر الطريق ويُجردوا من السلاح، وأن يميزوا في اللباس عن المسلمين سواء ذكورهم أو إناثهم، ولا يسمح لهم برفع بنيانهم ولا تسويته ببنيان المسلمين، ولا يحدثوا كنيسة ولا بيعة في مدينة إسلامية إلا ما فتح صلحاً من أراضيهم على أن يؤدوا الخراج، فلهم أحداث الكنائس وإبقاء القديمة منها، ويعد مخالفة كل تلك الأمور أمر

¹ - الماوردي ، مصدر سبق ذكره، ص166.

² - قاسم عبده، مرجع سبق ذكره، ص86 /علق ابن خلدون على أولئك بقوله: "...وكتيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من الغلط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهاها ولا سيروها بمعيار الحكمة...فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط...".

انظر: ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص13.

³ - القلقشندي، مصدر سبق ذكره، ج13، ص359،360.

يوجب التعزير والجزر ولا ينتقض العهد بها¹، على ان الفقهاء اهتموا بشرط مهم، وهو منع اهل الذمة من دخول الحجاز اقتداء بقوله تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**².

وقد أجاز بعض الفقهاء بقاء اهل الذمة في الحجاز لمدة لا تتجاوز ثلاثة أيام، وإذا طال بقاؤهم بدون عذر عوتبوا على ذلك³.

وعلى الرغم من تشدد بعض الفقهاء واعتدال بعضهم في معاملة اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم من الملل الاخرى، فان الشريعة الإسلامية لم تشأ لأهل الذمة ان يكونوا جماعة منبوذة داخل المجتمع الاسلامي، فقد اباح الاسلام للمسلم التزوج من كتابية (يهودية او نصرانية) واحل القرآن الكريم تبادل الطعام بين المسلمين واهل الذمة، وهي اكبر علامات العلاقة الاجتماعية الودية **(وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ)**⁴.

واختلفت الروايات بشأن اقامة العلاقات الودية مع اهل الذمة، ولكن الراجح انه يجوز عيادتهم اثناء مرضهم، وشهود جنازتهم وتعزيتهم في مصائبهم، وتهنئتهم في افراحهم ومشاركتهم التجارة⁵، وعلى الرغم من وضوح التشريع الإسلامي ازاء اهل الذمة باختلاف مللهم فان بعض الفقهاء ممن

¹ - القلقشندي، مصدر سبق ذكره، ص 364.

² - التوبة الآية 28، نزلت هذه الصورة بعد نزول وفد للنصارى نجران على الرسول عليه الصلاة والسلام في عام الوفود وصلاتهم في مسجد الرسول.

انظر: ابن القيم الجوزية، مصدر سبق ذكره، ص 149.

³ - القلقشندي، مصدر سبق ذكره، ص 249. /ابراهيم حركات، المجتمع الاسلامي والسلطة في العصر الوسيط، ب د، المغرب، 1998، ص 133.

⁴ - سورة المائدة، الآية 5.

⁵ - ابن القيم الجوزية، مصدر سبق ذكره، ج 1، ص 133. /قاسم عبده، مرجع سبق ذكره، ص 86.

يرى أن الأسلم عدم التعامل معهم في اي شان من شؤون الحياة، فالفقيه ابن الحاج(737هـ/1336م) ذهب الى ان مجلد الكتب يجب عليه ان لا يجد كتاب لاحد من اهل الاديان الباطلة "لأنه بفعله ذلك يكون معينا لهم على كفرهم ومن اعان على شيء كان شريكا لفاعله"، وعم ذلك على الحكم على التوراة والانجيل والزبور، لانهم بدلوا وحرفوا فيها، ويعبر ابن الحاج عن امتعاضه الشديد من اختلاط النساء المسلمات بالكتابات في الحمامات العامة، وعد ذلك من المفاسد الدينية والعوائد الرديئة في زمنه¹.

وقد استشهد المجيلدي برأي "الامام مالك" في الشراء من مجازر اليهود وقال: "تهى عمر ان يكونوا في اسواقنا جزارين وصيارفة ويمنعون من البيع في الاسواق لمعاملتهم بالربا ولا سيما في الصرف"، على الرغم من انه عقب على ذلك بقوله: "اما الان حين كثر الربا في الاسواق فمعاملة الذمي احسن من معاملة المسلم الذي يعامل بالربا لان الذمي غير مكلف، ومع هذا كله لا يجوز ظلم الذمي"².

وباستثناء الجزية لم تتعرض اموال اهل الذمة من الناحية الشرعية الى اية ضرائب اخرى خاصة بهم، بل ان عدالة الاسلام اسقطت عنهم الجزية في حال اسلامهم، وفي حال موت الذمي لا تستوفي من تركته اذا مات قبل ان يؤديها³.

أما فيما يخص شؤون اهل الذمة يهودا او نصارى فقد تركت لهم حرية تنظيمها بالكيفية التي تلائمهم وفق تشريعاتهم وعقائدهم والعمل وفق اجهزتهم القضائية، الا ان ذلك لم يمنع اي فرد من الاقليات الموجودة بان يتوجه للقضاء الاسلامي بدل التقاضي امام قضاؤه الخاص، ومن الجانب

¹- ابو عبد الله محمد، المدخل الى الشرع الشريف، مكتبة دار الفكر، القاهرة، ج2، ص47، ص48، ص72، ص90، ص172.

²- احمد بن سعيد المجيلدي، التسيير في احكام التعسير، (تح): موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980، ص ص87،77.

³- سليمان ابراهيم، مرجع سبق ذكره، ص ص146،147.

المبدئي كانت السلطات اليهودية والمسيحية تعتبر لجوء احد اتباعها للقضاء الاسلامي خطيئة لا تغتفر جزاؤها حرمان الفرد وطرده من الجماعة¹.

¹- زعفراني حاييم، يهود المغرب والاندلس، (تج): احمد شحلان، مرسوم الرباط للنشر، 2000، ج1، ص31.

الفصل الأول

**الدولة الزيانية والتواجد النمي
بالمغرب**

المبحث الأول: الدولة الزيانية
المبحث الثاني: تواجد أهل النمة
بالمغرب الأوسط

المبحث الأول: الدولة الزيانية

تغيرت حدود منطقة المغرب الأوسط بفعل عوامل سياسية عديدة كعدم الاستقرار السياسي الناجم عن التنافس الشديد بين الدول الثلاث إضافة إلى التحرشات الخارجية... وبذلك فقد حددت هذه المؤثرات مصير منطقة المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة.

المطلب الأول: المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط.

بعد سقوط دولة الموحدين في منتصف القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، انقسم المغرب إلى ثلاث ممالك، مملكة فاس في منطقة المغرب الأقصى وامتدت من واد ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، ومملكة أفريقية في منطقة المغرب الأدنى وامتدت من جزائر بني مزغنة غربا إلى طرابلس شرقا ومملكة تلمسان بالمغرب الأوسط وكانت تتحصر ما بين وادي ملوية ومدينة تازا غربا وجزائر بني مزغنة شرقا¹. وقد كانت تلمسان عاصمة لدولة بني عبد الواد أو بني زيان التي تشمل المغرب الأوسط، والتي كان يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط وجنوبا الصحراء الشاسعة الأطراف الممتدة إلى بلاد السودان وأما غربا فكان يحدها وادي ملوية وشرقاً² وادي الصومام أو الواد الكبير لكن هذين الحدين لم يكونا قائمين بذاتهما بل كانا خاضعين لما تقرضه الغارات الحربية والظروف السياسية حيث تعرضت للاحتلال من قبل عدة قبائل نظرا للطبيعة الجغرافية للمنطقة والتي كان هدفها السيطرة على المواقع الخصبة للدولة. وفي ضبط حدودها يقول شريف "الإدريسي": "أن مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وأن بلاد تلمسان امتداداتها هي قفل بلاد المغرب الأوسط" ويدعم الإدريسي ذلك باعتبار تلمسان نهاية المغرب الأوسط بتأكيده أن "تلمسان قفل بلاد المغرب"، كما حدد صاحب الاستبصار تلمسان

¹ رشيد الناضوري، المغرب العربي الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، بيروت، لبنان، 1981، ص 126، 127.

² مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغول عبد الحميد، مطبعة الجامعة، الإسكندرية، 1958، ص 186

بأنها تقع ضمن حدود إقليم المغرب الأوسط وجعلها عاصمة لهذا الإقليم تمتد إلى حدود وادي ملوية غربا وبذلك تكون المدن التي تقع شرق هذا النهر وشمال جبال درن الشرقي تابعة لهذا الإقليم ويضم وجدة إلى غاية تازا¹، أما "البكري" فيذكر: "أن قاعدة المغرب الأوسط تتمثل في تلمسان"، أما "ابن خلدون" فيعتمد على الأسس القبلية في التقسيم حيث "يكون المغرب الأوسط في الأغلب ديار زناتة كانت لمغراوة وبني يفرن" وينتهي هذا الجزء إلى: "بني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان، وهي دار ملكه"²، فالمغرب الأوسط هو ما يقابل حاليا وسط وغرب الجزائر حيث قسم إلى قسمين المغرب الأوسط الشرقي وقاعدته تيهرت عاصمة الدولة الرستمية³ والمغرب الأوسط الغربي وقاعدته تلمسان عاصمة الدولة الزيانية⁴.

إن الموقع الجغرافي الذي تميز به المغرب الأوسط بصفة عامة وتلمسان عاصمة الدولة الزيانية بصفة خاصة جعل منه منطوقة استقطاب وجذب للعديد من القبائل والتجار وأصحاب رؤوس الأموال في مختلف بلاد المغرب وأقاليمه.

المطلب الثاني: أصل بني زيان

ينسب الزيانيون إلى قبيلة بني عبد الولد الزناتية البربرية⁵ التي توطنت في المغرب الأوسط،

¹ - مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، (تح): سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة الجامعة الإسكندرية، 1958م، ص186.

² - عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج6، 2000، ص98.

³ - تيهرت مدينة بالمغرب الأوسط تقع على سفح جبل تسكن حولها قبائل بربرية مثل زواغة ولواتة وهوارة.

انظر: عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في أخبار الأقطار، (تح): إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص126.

⁴ - عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، دائرة المعارف الإسلامية، الإسكندرية، ج5، 1995، ص455.

⁵ - البربر اسم أطلقه اليونان على سكان شمال إفريقيا، واختلفت المصادر في أصلهم وانقسموا إلى بربر البتر(البدو) وبربر البرانس(الحضر) وتعتبر زناتة من أكبر القبائل البربرية البترية، وتتسب إلى زانا بن جانا بن يحيى، سكنت المغرب الأوسط والأدنى. أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج6، ص89/7، ص753 / الدراجي بوزيان، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، د م ج، الجزائر، 1993، ص23.

حتى قيل: " أن المغرب الأوسط هو وطن زناتة"¹، وتفرعت زناتة إلى قبائل متعددة منها: مرين، مغراوة، راشد، بالإضافة إلى بني عبد الواد.

ضمت قبيلة عبد الواد² عدد من القبائل التي اتحدت فيما بينها تحت اسم بني عبد الواد، وهذه القبائل شملت كل من : أولو، ورهطف، نصوحة، تومرت، القاسم، حيث قسمت بعض المصادر³ بنو القاسم إلى فروع متعددة هي : يمكثن، مطهر، علي، وقسمت نفس المصادر بني علي إلى فروع وهم: معطي، جوهر، طاع الله، وإلى بني طاع ينسب الزيانيون.

ويعود أصل تسمية بنو عبد الواد إلى جدهم عابد الوادي الذي كان يتعبد مترها في وادي لذلك أطلق عليه لقب عابد الوادي، وهم من ولد سجيح بن واسين بن يصلتين بن مسرى بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتري، وهم عدة بطون منهم، بنو يانكين، بنو وللو، مصوجة، بنو ورسطيف، وبنو القاسم الذين ينتسب إليهم بنو زيان حكام الدولة الزيانية⁴.

ويرجع الاختلاف في نسب بني زيان إلى بني القاسم وإلى الأدارسة، عندما لجأ قسم من الأدارسة بزعامة القاسم إلى بني عبد الواد داخل صحراء المغرب الأوسط طلبا للحماية عندهم بعد أن طردوا¹ من المدن التي كانوا يسيطرون عليها داخل المغرب الأوسط وكونوا فرعا خاصا بهم

¹ - عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص72.

² - أطلق على بني عبد الواد هذا الاسم نسبة إلى جدهم عابد الوادي وقد شاركوا عقبة بن نافع في فتوحات المغرب الأقصى. انظر: ابن خلدون أبو زكريا يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، (تح): عبد الحميد حاجيات، ب ط، المكتبة الوطنية، ج1، الجزائر، 1980، ص186/ عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص59/ عبد الرحمان الجليلي، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، ط4، 1980، ص141.

³ - يحيى ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج1، ص186/ عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص73/ محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، ج7 من كتاب نظم الدر والعيقان في بان شرف بني زيان، (تح): محمد بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ب ط، 1985، ص109.

⁴ - عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج6، ص149/ يحيى ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص 186 /التنسي، مصدر سبق ذكره، ص109.

داخل قبيلة بني عبد الواد عرف باسم بني القاسم، وتوثقت العلاقة بين الطرفين أكثر عن طريق الزواج وهو ما أدى إلى تداخل النسب.

وقد اختلف المؤرخون في نسب الزيانيين وأجدادهم من بني القاسم حيث رفض "عبد الرحمان ابن خلدون" نسبهم إلى الأدارسة قائلاً¹: "ويزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم ابن إدريس، وربما قالوا في هذا القاسم أنه ابن محمد بن إدريس أو ابن محمد بن عبد الله أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب إدريس زعما لا مستندا له، إلا اتفاق بين بني القاسم هؤلاء عليه مع ان البادية بعدا عن معرفة الأنساب".

أما شقيقه "يحيى ابن خلدون" في بغية الرواد فقد كان له موقفا مخالفا له عندما نسب الزيانيون إلى الأدارسة قائلاً²: "بنو القاسم من ولد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب"، وقد أيده التنسي في كتابه نظم الدرر قائلاً³: "والقاسم جد أمير المؤمنين اتفق الأنساب أنه من ولد عبد الله الكامل...ولكن اختلفوا في طريق اتصاله به".

أما السلاطين الزيانيين فلم يهتموا بقضية نسبهم للأدارسة كثيرا فكان موقفهم مؤيدا تارة وصامتا تارة أخرى، حيث رد السلطان يغمراسن عند سؤاله عن هذا النسب قائلاً: "إن كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فإننا نلناها بسيوفنا"⁴.

أما السلطان "أبو حمو موسى الثاني" أيد هذا النسب عندما وصفه الكاتب يحيى ابن خلدون قائلاً "كما قال جده علي بن أبي طالب" وقال "وجبت خلافته الهاشمية"⁵.

¹ - عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج1، ص190.

² - يحيى ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص72.

³ - التنسي، مصدر سبق ذكره، ص170.

⁴ - عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص72.

⁵ - نفس المصدر، ج2، ص ص8، 9.

المطلب الثالث: تأسيس الدولة الزيانية

يرجع قيام الدولة الزيانية إلى ظهور بني عبد الواد الذين عاشوا في المغرب الأوسط¹ معتمدين في حياتهم على الترحال والتنقل في المنطقة الصحراوية بحثا عن الظروف الملائمة للعيش من ماء وكأ ومراعي ما بين مصاب نهر الزاب شرقا إلى نهر ملوية غربا وفجيج وسجلماسة جنوبا إلى أراضي الزاب شمالا²، حيث تمتع بنو عبد الواد فيها بحرية التنقل خاصة في فصل الصيف نحو سهول وهران وتلمسان بسبب وجود الماء والعشب أكثر من المناطق شبه الصحراوية³.

استمر بنو عبد الواد على نمط الحياة هذه حتى قدوم الموحدين للمغرب الأوسط سنة 539هـ/1145م، حيث بدأت مرحلة الاستقرار لهم في تلمسان.

برز بنو عبد الواد على ساحة الأحداث السياسية في المغرب الأوسط بفروعهم المتعددة وذلك عندما وقفوا مع قبيلتهم الكبرى زناتة ضد تقدم الموحدين نحو هذه المنطقة بحدود سنة 539هـ/1145م⁴، في هذه الحال أدرك بنو عبد انه ليس بمقدورهم مقاومة الموحدين فأعلنوا الولاء لهم ودخلوا في طاعتهم وتمكنوا من الحصول على ثقتهم وأصبحوا منفذين لسياستهم في المنطقة مما ساعدهم على إدارة تلمسان ومنطقتها⁵. وفي هذه الفترة جرت معركة منداس بين الموحدين والمرينيين سنة 539هـ/1145م والتي انهزم فيها المرينيون فانسحبوا إلى صحراء المغرب الأوسط بزعمامة المخضب بن عسكر، الذي استولى على غنائم الموحدين الموجهة إلى المغرب الأقصى كرد فعل على هزيمته في معركة منداس، فاستعان عبد المؤمن بن علي ببني عبد الواد لاسترجاع

¹ - عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص72.

² - عبد الرحمان الحيلالي، مرجع سبق ذكره، ج2، ص141/ الدارجي بوزيان، مرجع سبق ذكره، ص23.

³ - رشيد بورقيبة وزملائه، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج3، د ط، د ت، ص159.

⁴ - عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص73.

⁵ - رشيد بورقيبة، مرجع سبق ذكره، ج3، ص395.

هذه الغنائم وكتب إلى زعيمهم "عبد الحق بن منفعاد(معاذ)" والذي تمكن من استرجاعها وقضى على المخضب بن عسكر في منطقة فحص مسون.¹

وعليه منحت الدولة الموحدية بني عبد الواد أجزاء من تلمسان امتدت بين بلاد واماتوا إلى بلاد يلومي بناحية الشلف² كمكافأة لهم على مساندهم لها حيث تمكنوا من كسب ود الدولة الموحدية وثقتها وأصبحوا من الموالين وهو ما مكنهم من تولي إدارة تلمسان فيما بعد كما ضمنوا لأنفسهم منطقة واسعة لممارسة أنشطتهم الرعوية والزراعية دون الاصطدام مع الدولة الموحدية أو القبائل الأخرى.

وتعتبر حادثة دفاع بني عبد الواد عن تلمسان أما ثورة ابن الغانية منعرجا حاسما في بداية وصول بني عبد الواد إلى إدارة شؤون مدينة تلمسان حيث زادت ثقة الدولة الموحدية بهم خصوصا بعد قضائهم على ثورة ابن الغانية وتثبيتهم العاليي الموحدية على المدينة، وتبدأ سلطتهم الفعلية على تلمسان بعد أن عين الخليفة "المأمون الموحدية" (624هـ-630هـ/1226م-1232م) شقيقه أبا سعيد عثمان واليا على تلمسان سنة (624هـ/1227م) الذي اشتهر بضعف شخصيته ونقص خبرته الإدارية والسياسية حيث وصفه "ابن خلدون" قائلا: "إنه مغفل ضعيف التدبير"³، وقد كان يساعده في إدارة شؤون المدينة "الحسن بن حيون"⁴ والذي عرفت علاقته مع بني عبد الواد توترا بسبب شعوره بمنافستهم الشديدة له على إدارة تلمسان بعد أن منحهم الخليفة المأمون الموحدية ضواحي تلمسان وأحوازها لإخلاصهم الشديد لأسرته حيث كان "الحسن بن حيان" يطمح في ولاية هذه الضواحي وسعى جاهدا للتخلص منهم مستعينا في ذلك بالوالي الموحدية أبا سعيد عثمان والذي لبي رغبته في اعتقال الزعماء الواديين أثناء زيارتهم له فسجنهم في دار الحكم داخل القصر

¹ - يحيى ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج1، ص186./القلقشندي، مصدر سبق ذكره، ج5، ص195.

² - رشيد بورقيبة، مرجع سبق ذكره، ص395.

³ - ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص73.

⁴ - المليي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تح و تق: محمد المليي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2، الجزائر، ص329.

القديم بتلمسان¹، وتعتبر هذه الخطوة التي أقدم عليها خطأ كبير منه وذلك لضعفه وقلة خبرته السياسية وعدم معرفته بالنوايا الخفية والمتمثلة في الحامية اللمتونية والتي تعود في أصلها لقبيلة صنهاجة، بزعامة القائد "إبراهيم بن إسماعيل بن علان"²، حيث حاول هذا الأخير التوسط لدى والي الموحي "أبا سعيد عثمان" للإفراج عن زعماء بني عبد الواد لكن محاولته باءت بالفشل، ومن هنا بدأ تقاربه مع بني الغانية مستغلا ثورتهم ضد الموحيين، والسبب وراء ذلك هو إحياء الدولة المرابطية بالمغرب الأوسط.

توجه "إبراهيم اللمتوني" لتحقيق أهدافه فأعتقل والي الموحي "أبا سعيد عثمان"، وقتل "الحسن بن حيون"، وأطلق سراح زعماء بني عبد الواد معلنا رفضه لطاعة الموحيين، وبدأ في الترتيب لإعادة بعث الدولة المرابطية داخل تلمسان من جديد وذلك سنة 624هـ/1227م³، ثم بدأ في تنفيذ مؤامراته ضد بني عبد الواد للتخلص منهم بعد أن رأى أنهم يقفون أمام تحقيق أهدافه، حيث دعاهم لوليمة داخل تلمسان، إلا أن جابر بن يوسف زعيم بني عبد الواد تقطن لمؤامراته فقبض عليه مع ثمانية من معاونيه، وأعاد الدعوة للموحيين⁴ وبذلك أثبت بنو عبد الواد مرة أخرى ولائهم الشديد للدولة الموحدية وإخلاصهم لها وعليه منحهم الموحدون ولاية تلمسان وذلك سنة 627هـ/1230م.

تولى "جابر بن يوسف" شيخ وزعيم بني عبد الواد⁵ إدارة شؤون تلمسان "فاستولى على أحواز تلمسان وعلى بني راشد وعلى حواضر القطر سوى ندرومة"⁶، ثم تولى بعده "الحسن بن

¹ - يحي ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص 198. /الميلي، مصدر سبق ذكره، ج2، ص 329.

² - الحامية اللمتونية : تعود إلى أيام المرابطين في تلمسان وعندما دخل الموحدون إلى تلمسان أبوها على مركزها، استمر أبناء الحامية بنفس العمل طوال فترة الموحيين . انظر: عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص73/ الدراجي بوزيان، مرجع سبق ذكره، ص29.

³ - يحي ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج1، ص198. /التنسي، مصدر سبق ذكره، ص 102.

⁴ - عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص 74. /التنسي، مصدر سبق ذكره، ص113.

⁵ - التنسي، مصدر سبق ذكره، ص 113.

⁶ - نفس المصدر، ص 113.

جابر" بعد مقتله أثناء حصاره لندرومة الذي تنازل عن ولاية تلمسان لعمه عثمان بعد 6 أشهر ويقول ابن خلدون في سبب تخلي الحسن عن ولايته: "إنه تخلى عن منصبه بسبب ضعفه على الأمر"¹ أما التنسي علل ذلك قائلاً: "ثم خلع نفسه لعمه عثمان لكبر سنه"².

عزل "عثمان" عن ولاية تلمسان من قبل سكانها لسوء تصرفاته معهم وكان ذلك سنة 631هـ/1233م، "فأخرج من تلمسان"³، وتولى بعده ابن عمه "زكرار ابن زيان بن ثابت" الملقب بأبي عزة⁴ والذي حاول جمع فروع بني عبد الواد تحت لوائه فقتل أثناء محاولته إخضاع بني مطهر⁵ الذين خرجوا عن طاعته مطالبين بأحقيتهم في الولاية من الزيانيين سنة 633هـ/1235م.

ثم تولى بعده أخوه "يغمراسن بن زيان" رغم معارضة بعض القبائل داخل المنطقة فحاربها وتمكن من توحيد المغرب الأوسط تحت حكم ما يسمى الدولة الزيانية الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لها.

المبحث الثاني: تواجد أهل الذمة بالمغرب الإسلامي

تعود جذور الوجود الذمي ببلاد المغرب الى ما قبل الفتح الإسلامي، حيث استقروا بمدن عديدة من بلاد المغرب الإسلامي واتخذوها مراكز لممارسة أنشطتهم الدينية والاقتصادية.

¹ - ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص74.

² - التنسي، مصدر سبق ذكره، ص113.

³ - نفس المصدر، ص113.

⁴ - ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص74.

⁵ - بنو مطهر أبناء عمومة لبني طاع وينتمون إلي مطهر بن يزجن بن القاسم بن عبد الواد. انظر: عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص74.

المطلب الأول: الاستقرار اليهودي بالمغرب الإسلامي

لا يمكن دراسة دور طائفة اليهود في حياة الاقتصادية والاجتماعية في ظل حكم الدولة الزيانية إلا بمعرفة جذور التواجد اليهودي بها. وهو أمر لا يزال محل خلاف بين الباحثين، حيث يذهب بعضهم الى كون ذلك نتيجة للهجرات اليهودية المتعاقبة الى بلاد المغرب، بينما يركز البعض الآخر على ظاهرة اعتناق القبائل البربرية للديانة اليهودية.

1- هجرات التوشابيم

الوجود اليهودي بالمغرب الإسلامي قديم، لكن بداياته غير معروفة على وجه التحديد، فمن المؤرخين من أرجعه إلى قرابة 3000 سنة أي منذ أن قدم الفينيقيون إلى شمال إفريقيا لممارسة التجارة، خاصة بعد إنشائهم لمدينة قرطاجة عام 814 ق، م.

ولا يمكن اعتبار هذا الوجود فعلياً ابتداء من هذا الزمن¹، ذلك أن اليهود كانوا غير مستقرين بشمال إفريقيا بشكل دائم، فقد كانوا يمارسون التجارة كغيرهم، ثم يعودون إلى المناطق التي قدموا منها

في 323 ق.م أصبح "بطليموس" حاكماً لمصر، وفي سنة 320 ق.م هاجم القدس وأحرقها واستقدم معه بعضاً من سكانها الذين أقاموا بالإسكندرية وبرقة، بينما هاجر بعضهم إلى إسبانيا².

¹ - تروي الأساطير اليهودية أن اليهود كانوا منقسمين إلى 12 قبيلة، عشر منها تشكل مملكة الشمال "مملكة إسرائيل" التي كان ملكها شاول، واثنان تشكلان مملكة الجنوب مملكة الجنوب "مملكة يهوذا" والتي نشأت حسب الرواية التوراتية بعد أن تمرد داوود واتجه إلى الجنوب، ليتخذ من الخليل عاصمة له، ولما سقطت مملكة الشمال في يد الأشوريين عام 721 ق م، هجر سكانها الذين ذابوا في المجتمع الجديد، لكن كثيراً من اليهود لا يأمنون باختفاء هذه القبائل، وإنما يعتبرونها مفقودة فقط وهم في انتظار عودتها، أنظر: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، ج4، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص315.

² - Garrot .H, Les juifs algériens, leurs origine, Librairie louis relin, Alger, 1898, P10.

وقد اختلفت أوضاع اليهود في ظل الحكم الروماني، إذ نجدهم في إفريقيا في زمن أوغستين (14 ق. م/63 م) أصحاب شأن أغنياء، يتمتعون بحماية الحاكم¹.

ويرى إزنابيت أن اليهود صاروا في عصر الوثنية الرومانية، يتمتعون بكامل الحقوق التي تتمتع بها بقية الشعوب، ويعيشون حسب قوانينهم الخاصة²، وفي ذلك إشارة إلى ما اعترى اليهود من ضعف واضطهاد³ بعد دخول المسيحية إلى الإمبراطورية الرومانية⁴.

في عام 70م دمر "تيتوس (تيطس)" (39م/81م) مدينة القدس، وحطم الهيكل فانتقلت مجموعة من اليهود إلى الإسكندرية وبرقة، وكانت ناقمة على ما حل بها⁵.

وفي عام 115م، أصبح عدد اليهود كبيرا في برقة، فاغتموا ذلك وثاروا ضد سلطة الإمبراطور الروماني "تراجان" (53م/117م) واستطاعوا تحت قيادة واحد منهم يسمى "أوندريا" أن يلحقوا الأذى بكل من لم يكن يهوديا.

وخلال عامين حولوا الحياة في مصر إلى جحيم، حيث لوثوها بالدم، و هم الذين وجدوا فيها الأمان، بعد خروجهم من فلسطين، فلما تولى "أديان"⁶ السلطة الرومانية، شكل قوة هزمت اليهود ففترقوا، حيث استقر بعضهم في شمال إفريقيا، بينما مضى آخرون إلى اسبانيا⁷.

و من هنا يمكن أن نستنتج أن هجرة اليهود إلى شمال إفريقيا عبر محورين أساسيين :

¹ - Garrot .H, ibid, P10.

² - Eisenbet .M, Les juifs en Algérie et en Tunisie, Revue Africaine, Tome, XCVI, 1952, PP 126 ,127.

³ - عبد الله التل، الأفعى اليهودية في معازل الإسلام، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ط2، ب ب، 1989، ص52.

⁴ - صارت الإمبراطورية الرومانية مسيحية بدخول الإمبراطور قسطنطين (306م/337م) المسيحية عام 312م. انظر: عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره، ج4، ص272.

⁵ - تذهب الكتابات اليهودية إلى أن اليهود تشتتوا في الأرض بعد هدم الهيكل سنة 70م على يد تيتوس، مع أن تفرق اليهود في الأرض كان قبل ذلك بزمن طويل. انظر: عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره، ج4، ص273.

⁶ - أديان (76م/138م) وقد خلف أباه بالتبني الإمبراطور تراجان بعد موته 117م.

⁷ - Garrot. H, op cit, P12.

- من فلسطين إلى مصر، ثم برقة، ثم باقي المناطق الإفريقية، خاصة الساحلية.
- من اليمن والجزيرة العربية، إلى إثيوبيا ثم الانتشار في الصحراء، وصولاً إلى المغرب الأقصى¹.

وبعد أن توضحت لليهود المسالك صوب شمال إفريقيا، جاءت أعداد أخرى لتلتحق طواعية بمن سبقها، بعد أن بلغها خبر الظروف الملائمة في المنطقة، فقد أصبح اليهود تجاراً، يتاجرون في كل شيء حتى البشر.

كانت علاقة اليهود بالقبائل المحلية، تتسم بنوع من التفاهم، إذ تمت المتاجرة بين الطرفين، لما دخل الوندال بلاد المغرب، عرف اليهود نوعاً من الحرية جعل استقرارهم يتكسر أكثر² ذلك أن الوندال أعداء للكاتوليكية، و لما حل البيزنطيون انتهت هذه الامتيازات فقد أجبر اليهود على اعتناق المسيحية بالقوة .

ويرى "شير إيزنبيت" أنه مقابل التضييق الذي شهده اليهود تحت حكم الإمبراطور البيزنطي "جوستينيان" (527م/565م) شهد متسعاً من الترحيب لدي الأمازيغ جعلهم يتوغلون حتى المناطق الداخلية³.

2- هجرات الميغوراشيم :

كانت الأوضاع المزرية التي عاشها اليهود في أوربا وراء هجرة اليهود الميغوراشيم إلى بلاد المغرب، ولفظة ميغوراشيم عبرية معناها المطرودون، وينقسم هؤلاء إلى:

- السفارديم.

¹- محمد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (منذ مطلع القرن 18م حتى 1830م)، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1985، ص11.

²- Garrot .H , op cit, P28.

³- Eisenbeth .M, op cit, P127.

- الأشكيناز .

- القرانا (يهود النصارى).

2-1 السفارديم :

في الأصل العبري لمصطلح سفارديم، التي تعني إسباني أو إسبانيولي، كما تعني فرانك التي تقابل لفظة "الفرنجة" بالعربية.

وقد صارت كلمة سفارد منذ القرن 8م هي الكلمة العبرية المستخدمة للإشارة إلى إسبانيا، وتستخدم في الوقت الحاضر للإشارة إلى اليهود الذين عاشوا أصلا في هذا البلاد و في البرتغال¹. ورغم أن اليهود عاشوا في الأندلس و تكلموا العبرية، إلا أن استعادة المسيحيين لأقاليم الأندلس جعلتهم يأخذون الصبغة الإسبانية، ويتحدثون لهجة اللادينو² الإسبانية، وحينما تم طردهم من الأندلس كانوا سفارد لهذه الاعتبارات .

اختار هؤلاء الحواضر الكبرى في المغرب الأوسط كمدينة الجزائر و تلمسان، بجاية وهران بينما اختارت قلة منهم المناطق الداخلية³.

¹ - عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره، ج6، ص168.

² - اللادينو تحريف لكلمة اللاتينو، وهي لهجة إسبانية عبارة عن خليط من العبرية والتركية واليونانية والإسبانية والبرتغالية، ومازالت تستخدم إلى اليوم كلهجة عند بعض اليهود في إسرائيل، لكنها تكاد تختفي.

انظر: عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره، ج3، ص476.

³ - قدر Garrot عدد الذين توافدوا عام 1319م من إسبانيا بـ 45 ألف عائلة وتحدث سعيدوني عن 150 ألف شخص استقر أغلبهم بالمناطق الجزائرية.

انظر: Garrot .H, Op Cit, P38.

ناصر الدين سعيدوني، يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية، مجلة الثقافة، العدد77، الجزائر، 1983، ص108.

2-2 الأشكيناز:

إن لفظة أشكيناز حسب الرواية التوراتية، اسم لأحفاد نوح علي عليه السلام أما الاشتقاق الحالي لهذه اللفظة فهو من كلمة "إشكيناز" بمعنى ألمانيا و تطلق علي اليهود الذين كانوا يعيشون في ألمانيا و فرنسا و معظم أوربا¹.

وقد التحق الأشكيناز منذ قرون إلي المغرب، حيث قدموا من إيطاليا عام 1392م وهولندا عام 1350م، وفرنسا عام 1403م².

2-3 القرانا " يهود النصارى "

يقصد بهم اليهود الذين قدموا من توسكانا، خاصة مدينة ليفورن، تمركزوا في المدن الكبرى، واطلاعهم علي السياسات الأوروبية، واكتسابهم لصدقات قربتهم إلي مراكز القرار في أوربا³. وقد تحدث لوجي دوتاسي عن وجود يهود من إيطاليا في كل مدن الجزائر، وهم الذين يسمون اليهود الأوربيين⁴.

المطلب الثاني: الهجرات المسيحية

ظهرت المسيحية في شمال أفريقيا منذ القرن الثاني ميلادي، إذ اعتنقها البربر كدين مستقل عن الدولة الرومانية⁵، وذلك راجع للعبادة التي كان الأباطرة يعتنقونها في المغرب عموما، بالإضافة إلي السيطرة الرومانية التي كانت سائد آنذاك، لكنها لم تحظي باهتمام معظم البربر، بل إنها كانت رمزا للقهر والاستبعاد الذي فرض عليهم، وقد انتشرت بصورة خاصة في المدن

¹ - عبد الوهاب المسيري، مرجع سبق ذكره، ج6، ص168.

² - فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2004، ص 210.

³ - نفس المرجع، ص144.

⁴ - L, de Tassy, Histoire du Royaume d'Alger, Henri du Sauzet, Amsterdam, sans date, P76.

⁵ - حسن مؤنس، فتح العرب للمغرب، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ب ت، ص28.

الساحلية عن طريق الرهبان، ثم نقلوها الجنود إلى المدن الداخلية الصغيرة، كما بنوا الكنائس على طول الشريط الساحلي¹، ونجد أن الجماعات المسيحية الأولى في المغرب تكونت من فئات الفقراء والعامّة الذين جمعت بينهم رابطة العبادة وعمل الخير ونشر العدل والمساواة² وأمام تزايد أتباع الكنيسة المسيحية قامت الدولة الرومانية باضطهاد النصارى فطلعت الكنائس وصارت الأملاك خصوصاً في عهد الإمبراطور دكيوس سنة 250م الذي طلب الولاء والإخلاص في عبادة الإمبراطور و نتج عن هذا استشهاد القديس سبيريان عام 258م الذي كان له الفضل في تنظيم الكنيسة الإفريقية، وهذا ما دفع النصارى للعصيان ورفض الخدمة العسكرية³ فظهرت الدوناتية⁴ كتيار ديني استعانت بالبربر ضد الرومان.

ودعت الدوناتية إلى المساواة وتحرير العبيد، فبتولي قسطنطين (306م_337م) و إعلان اعتناقه الدين المسيحي وقف ضد أتباع الدوناتية واعتبرهم خارجين عن قانون، وقد ساعدهم على ذلك القديس أوغسطين⁵ الذي حارب المنشقين عن الكنيسة وانتصرا فيها، فأصبحت الكنيسة في

¹ - نفس المرجع، ص 29.

² - فشر، هـ، أ، ل، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تع: محمد زيادة، دار المعارف، مصر، 1950، ص 103.

³ - عبد الحميد سعد زغلول، مرجع سبق ذكره، ص 118.

⁴ - ترجع هذه الحركة الدوناتية إلى أوائل القرن الرابع ميلادي وتتسبب إلى دونات النحوي الروماني وعنه اتخذت مبادئها القائمة على وجوب تقديس الشهداء وإمعان اللعنة على المرتدين عن المسيحية أيام الاضطهادات السابقة لعهد قسطنطين ثم امتزجت هذه الحركة الأفريقية بالروح الانفصالية عن الدولة الرومانية فأضحت موضع نقمة الأباطرة منذ عهد قسطنطين في القرن 5 م، انظر: فشر، مرجع سبق ذكره، ج 1، ص 9.

⁵ - القديس أوغسطين أحد أعظم الفلاسفة المسيحيين في بلاد المغرب ولد في نوميديا عام 304م من أب وثني وأم مسيحية، تلقى علومه الأولى في قرطاج ثم انتقل إلى روما لاستكمال دراسته رحل بعدها إلى ميلانو بإيطاليا حيث اعتنق المسيحية سنة 384م وكان آنذاك معتقاً للمانوية و المجوسية، أصبح بعدها أسقفاً لمدينة عنابة. انظر: نورمان بينز، الأفكار السياسية للقديس أوغسطين، مجلة كلية الآداب، (تر): أسامة زكي، جامعة الإسكندرية، العدد 29، 1981م، ص 143.

المغرب دولة حيث عبرا أوغسطين عن شدة الصراع بين الدوناتة والدولة بقوله "إن أرض أفريقية مملوءة بأحباء القديس والشهداء"¹ الأمر الذي يعكس كثرة أتباع المسيحية و من ضحوا في سبيلها. أما الوندال فقد هاجموا الكنيسة الكاثوليكية و استولوا علي ممتلكاتها و قاموا بنشر المذهب الأريوسي² فسادت الفوضى وعمت الفتن والاضطرابات عموم الشمال الأفريقي مما عجل بالقضاء علي الحكم الوندالي فتمكن البيزنطيون من قمع هذا المذهب ضعفت المسيحية وشهدت انقسامات داخل الكنيسة نتج عنها سلطتين متنازعتين حول بلاد المغرب الأولى بالقسطنطينية والثانية تستمد قوتها من روما³ والمسيحية في بلاد المغرب محل صراع و نزاع إلى أن جاء الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، وفرضوا الجزية على النصارى الذين اختاروا البقاء على ديانتهم مقابل جزية يدفعونها⁴.

أما عن مناطق التمرکز المسيحي في بلاد المغرب بعد الفتح الإسلامي كانت ببرقة وطرابلس كما انتشرت المسيحية في بعض الواحات الليبية مثل واحة أجدابيا، و سرت⁵ كما استقرت في إفريقية و تمركزت في السواحل⁶ إذ يقول صاحب الاستبصار "... و بها آثار كثيرة

¹ - جوليان شارل أندريه، تاريخ إفريقية الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، (تر): محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ط2، ب ت، ص 255.

² - نسبة إلى أريوس أسقف القسطنطينية. انظر: أبو الفداء، إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، (تح): محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج1، ص 142.

³ - أبو الفتح بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، (تح): أمير علي حنا، دار المعرفة، بيروت، ص 181-182.

⁴ - احمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، (تح): محمد حجي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص 80 .

⁵ - عبد المنعم الحميري، مصدر سبق ذكره، ص 12/ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سبق ذكره، ص 144.

⁶ - عرفت هذه المنطقة بموقعها الملائم للنشاط التجاري، وعرفت باسم تونس إذ يذكر المؤرخون بأن هذا الاسم أطلقه عليها حسان بن النعمان بسبب وجود صومعة للرهبان يلجأ إليها الناس، وكانوا يقيمون بجوارها للأنس بترانيم رهبانها فكانوا يقولون بان هذه الصومعة تونس فسميت بذلك وما هذا إلا دليل لوجود المسيحية بالمنطقة. انظر: أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة المثني، بغداد، 1857م، ص 37/. شريف عبد القادر، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية الموحدين، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة الجزائر، 2003م، ص 25.

لأول، ومن كنائس قائمة البنيان محكمة العمل، كأنها رفعت عنها الأيدي بالأمس¹ وبلاد الجريد التي فتحت صلحا، وبني المسلمون فيها مساجد بجانب كل كنيسة أهلها من بقايا الروم عاهدوا المسلمين على البقاء مقابل المحافظة على سلامتهم وأمنهم² كما سكنوا مدينة قابس و صفاقص ومدينة سوسة³ وغيرها من مدن المغرب الأدنى وتمكنت الطوائف المسيحية من الاستقرار في المغرب الأوسط فسكنوا العديد من مدنه، من بينها قسنطينة و استقروا كذلك بمدينة طبنة ببلاد الزاب ومدينة بونة التي تعتبر مدينة العلم النصراني أوغستين و مدينة باغاية التي استقر بها الجند و العجم من أهالي خراسان وعجم بقايا الروم⁴ وجزائر بني مزغنة التي وجدت بها كنيسة عظيمة بقي منها جدار من الشرق⁵.

وفي القرن الخامس هجري وجدت فئة من النصارى في مدينة تلمسان كانت لهم كنائس يقيمون فيها شعائرهم الدينية، ويعود هذا للحرية التي كانوا يتمتعون بها في المنطقة، كما تواجدوا أيضا في مدينة مليانة و أرزيو التي بناها الروم⁶.

فقد اعتبرت تلمسان منطقة استقطاب وجذب للأقليات المسيحية⁷ لموقعها الجغرافي الذي يسمح بتنوع الأنشطة وممارسة التجارة ومختلف الحرف، كما جذبت مدينة تيهرت حاضرة الرستميين بالمغرب الأوسط عددا كبيرا من النصارى، واتخذوا بعض الأحياء مستقرا لهم مثل حي الكنيسة الذي أقيم على مكان مرتفع في المدينة بنوا فيه منارة وقصور.

¹ - مؤلف مجهول، الاستبصار، مصدر سبق ذكره، ص ص160،161/ إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 206.

² - التجاني محمد بن أحمد، رحلة التجاني، (تح): حسن حسين عبد الوهاب، دار العربية للكتاب، تونس، 1981م، ص162.

³ - ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج6، ص116.

⁴ - إسماعيل العربي، مرجع سبق ذكره، ص178.

⁵ - البكري، مصدر سبق ذكره، ص247،259 / مؤلف مجهول، الاستبصار، مصدر سبق ذكره، ص132.

⁶ - البكري، مصدر سبق ذكره، ص241-253.

⁷ - عبد العزيز فيلاي، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص ص64،65.

أما التواجد المسيحي ببلاد المغرب الأقصى فيعود إلى القرن الثالث ميلادي فتواجدوا بمدينة موريتانيا الطنجية، وانتشروا بمدينة طنجة وتطوان، ومدينة سبتة وأصبحت الآن جامع سبتة¹، ويؤكد المؤرخون أن التواجد المسيحي بشمال إفريقيا ظل محافظا على التقاليد التي رسمتها له روما وهذا ما أشارت إليه الحفريات خاصة في منطقة بوماريا تلمسان وفولوبيليس مدينة وليلي المغربية².

إن الوجود المسيحي ببلاد المغرب كان قبل الفتح الإسلامي وبعده وقد رحل عنه العديد من المسيحيين ورجال الدين مع البيزنطيين في حين بقي البعض منهم ببلاد المغرب مقابل دفع الجزية وفق شروط معينة، فاستقروا بمدن عديدة من بلاد المغرب الأوسط واتخذوها مراكز لممارسة أنشطتهم الاقتصادية والدينية.

¹- أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، (تح): جمال طلبه، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ط1، 2003، ص286.

²- Georges marchais, le bérubérie musulman et l'orient ou moyen âge a bieredition, Conti, paris, 1946, p36.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية لأهل النمة

**المبحث الأول: الحياة الاجتماعية
للإهود**

**المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية
للنصارى**

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية لليهود

وفرت سياسة التسامح التي عرف بها سلاطين الدولة الزيانية لليهود حرية التنقل والسكن، وهو ما ترتب عنه ظهور أحياء خاصة بهم تدعى "حارة اليهود"، الأمر الذي حال دون اندماجهم داخل المجتمع الزياني. إذ على الرغم من إقامة يهود المغرب الأوسط بين المسلمين وعيشهم في مدنهم¹، إلا أنهم - بصفة عامة - كانوا يميلون إلى حياة العزلة ويرفضون الاختلاط².

بيد أن تواجد اليهود في "الحارات" لا يعني عدم التفاعل مع سكان البلد، حيث وصلوا إلى درجة كبيرة من التعايش وحسن الجوار لاسيما عند التزامهم باحترام عادات و تقاليد الوسط الذي يقيمون فيه مع عدم المساس بالشرع الإسلامي. فقد عاشت الطائفة اليهودية نظام الجوار والحماية³، في كنف القبائل البربرية والعربية، حيث أورد "الونشريسي" مسألة مفادها أن بعض اليهود استقروا بالبادية لممارسة التجارة، وبعضهم سكن الحواضر وقد تطول إقامة الفريق الأول في البادية، فهل تؤخذ الجزية منهم؟ فأجاب بوجوب الجزية في كلا الحالتين⁴، من هنا يبرز لنا عمق التغلغل اليهودي في المجتمع الزياني، فلم يستقر تواجدهم في الحواضر فقط، بل امتد إلى البوادي أيضا.

المطلب الأول: مظاهر الحياة الاجتماعية لليهود

إزاء ندرة المعلومات في المصادر العربية حول الحياة الاجتماعية لليهود وأماكن استقرارهم ودروبهم، ودورهم في التركيبة الاجتماعية بالمغرب الأوسط، لم يكن أمامنا سوى الاجتهاد لوضع تصورات أولية بخصوص مظاهر الحياة الاجتماعية لليهود في تلك الحقبة من الزمن.

¹ - الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص 78.

² - الماوردي، مصدر سبق ذكره، ص 137.

³ - Chouraqui (A), Marches vers l'accident, Les Juif d'Afrique, tra, Michale M. Bernet, Paris, PUF, 1952, P79.

⁴ - الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص 253.

1. منازل اليهود بالمغرب الأوسط

أقام يهود المغرب الأوسط بين المسلمين، حيث تعتبر مدينة تلمسان من أهم المدن التي استقروا بها، والمعروفة بموقعها الجغرافي وغناها بالمواد الاقتصادية. وكما أشرنا سابقا فإن اليهود سعوا من أجل إقامة أحياء خاصة بهم، وهنا برز دور يهود تلمسان في إقناع السلطان بضرورة تجميعهم في حي واحد، عرف بحارة اليهود¹، بينما يرجع المؤرخين أن الفضل في تجميع اليهود في حي واحد يرجع للدور البارز الذي لعبه الطبيب اليهودي "أفرايم عنقاوة"، الذي تمكن من معالجة ابنة السلطان "أحمد الناصر الزياني" سنة 866هـ/1462م وكمكافأة له، سمح لهم بالتجمع في حارة واحدة بالقرب من المشور² (المقر الرئيسي للعاصمة الزيانية)، حيث يذكر "الوزان" حارة لليهود³ بالقرب من المشور تضم نحو خمسمائة دار يسكنها ما يزيد عن ألفين وخمسمائة نسمة، جلهم من الأثرياء⁴. وذلك بعد انتقال اليهود القدماء من حي أكادير إلى مدينة تاكرارت بسبب الاختلاف مع المهاجرين الجدد في اللغة والعادات والمفاهيم الاجتماعية والاقتصادية.

كما استقروا في أقاصي الصحراء كغرداية وبشار وواحة توات⁵، التي أقاموا بها القصور وبنو معابد لهم يتعبدون فيها، ونزلوا أيضا بمدينة تنس واستقروا بها⁶، المعروفة بغناها الاقتصادي فسكنوها مقابل جزية كانوا يدفعونها. وأقاموا كذلك في قلعة بني حماد التي ينسب إليها أحد رجال

¹ - عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص200.

² - فوزي سعد الله، مرجع سبق ذكره ص53.

³ - الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، (تح): محمد حجي، دار الغرب الإسلامي للنشر، ج1، بيروت ط1، 1983، ص20.

⁴ - مارمول كيرخال، إفريقيا، (تح): محمد حجي و آخرون، دار نشر المعرفة، ج2، الرباط، 1989، ص298.

⁵ - المغيلي محمد عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رايح بونار، ش و ن ت، الجزائر، 1998، ص ص 49.48.

⁶ - البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مكتبة المتنبي، بغداد، 1987، ص06.

الدين اليهود المعروف "بأبراهام القلعي"¹. هذا علاوة على نزولهم بمدينة أشير التي تقع مقابل مدينة بجاية²، ويقال أن تسمية "أشير" مشتقة من اسم لقبيلة يهودية ورد ذكرها في التوراة³. ولا تقوتنا في الأخير الإشارة إلى مدينة تيهرت التي استوطنوها هي الأخرى والتي تعد من أهم مدن المغرب الأوسط في العهد الزياني⁴.

2. الأزياء

حرص العلماء والفقهاء على ضرورة تمييز أهل الذمة عن المسلمين في الزي كأن يحملوا علامات خاصة أو يلبسوا ألوانا مغايرة⁵، وفي العهد الزياني ألزم اليهود على وضع عمائم صفراء على رؤوسهم⁶، وكانوا يلبسون برانيس حمراء، ويتمنطقون بحزام عريض⁷.

ولم يقصر التمييز في الزي على الرجل بل شمل أيضا المرأة، حيث تشير الكتابات⁸ إلى تمييز اليهوديات بلبس الججل وهو الجرس في القدم. وكان للمرأة اليهودية لباس جميل فضفاض وكن يضعن خمار على الرأس⁹، ينقش عليه شعارات دينية، فيها مزيج من الألوان المزركشة والمطرزة بأشكال زخرفية دينية كالشمعدان اليهودي ونجمة داوود ذات الأضلاع الستة.

¹ - الإدريسي بن عبد الله، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، (تح): محمد حاج صادق، د م ج، الجزائر، ص255.

² - عبد الرحمان بشير، اليهود في المغرب العربي، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط1، 2001، ص45.

³ - ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، ج2، بيروت، 1977، ص202. / عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص46.

⁴ - عبد الرحمان بشير، ص46.

⁵ - الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص256.

⁶ - الوزان، وصف إفريقيا، مصدر سبق ذكره، ص20.

⁷ - الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص257.

⁸ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص122.

⁹ - نفس المرجع، ص123.

3. الزواج

يعتبر الزواج ميثاقاً شرعياً بين الرجل والمرأة، يتحول إلى عقد مكتوب يتولى كتابته "حزان" يهودي أو قاضي يهودي¹، ويتم بحضور عدول أو شهود يكون عددهم عشرة، ويسمى هذا العقد "الكتوبا"²، يتم الزواج اليهودي فعلياً بمجرد تلفظ الزوج بالعبارة المقدسة "ها أنت أصبحت زوجة لي على سنة موسى وبني إسرائيل"³.

يبدأ حفل الزواج يوم السبت إذ تستدعي الخطيبة صديقاتها لترتيب جهازها، ويسمى هذا السبت "أرشيم"، أي سبت الاختيار لأن العريس يعين وزراؤه من "بحوريم" وهم الفتيان العزاب، وفي صباح يوم الأحد يرسل أهل العريس للعروسة صينية مليئة بأقراص السكر والحناء وبيضة وعسل وقطن وحلي، ويسمى هذا اليوم "أزرميغ" وهي لفظة أمازيغية بمعنى ربط، حيث يشهد هذا اليوم كسر بيضة على رأس الخطيبة⁴، وتخصب من بعدها بالحناء ويشد شعرها بقماش من القطن، وتحفظ به ليوم الثلاثاء وهو يوم "الحمام"⁵ حيث تذهب العروس برفقة أمها وحمايتها وبعض الصديقات إلى الحمام، وحسب المعتقدات التي كانت سائدة عند اليهود وجب على النساء اللواتي يرافقنها حمايتها من الشياطين والأشرار، وفي السبت الموالي "سبت إسلان"⁶ يجتمع العريس مع فتيانه وأصدقائه لتقبل الهدايا من الأصدقاء، ويوم الاثنين الموالي يسلم العريس لعروسه عقد الزواج ليحتفظ به والدها ويسمى "نهار شبوعا"⁷ أي التملك الشرعي، ثم يأتي العريس لأخذ عروسه برفقة

¹ - حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، (تج): أحمد شحلان، عبد الغاني أبو العزم، ج2، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص83.

² - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص114.

³ - حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، مرجع سبق ذكره، ص84. / ليلي أبو المجد، عقود الزواج، ب ن، القاهرة، 1996، ص113.

⁴ - حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، مرجع سبق ذكره، ص83.

⁵ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص116.

⁶ - حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، مرجع سبق ذكره، ص84.

⁷ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص116.

المغنيين ويتبادلان هدايا من الذهب¹ مساء يوم الجمعة، إذ بدخول ليلة السبت ينال العروسان أجرا عظيما.

4. الإحتفال بالمولود

تعتبر الولادة من أهم وأعظم المناسبات عند اليهود، وذلك بسبب اهتمامهم الشديد بالإكثار من النسل²، ولذلك فإن خبر حمل المرأة اليهودية ينتشر بسرعة وسط أفراد عائلتها وعائلة زوجها، الذين يسرون بالخبر ويحيطونها بالعناية والعطف.

تتيح مناسبة الولادة في المجتمعات اليهودية الفرصة لإقامة احتفالات كبرى³ ذات طابع ديني واجتماعي تعكس طقوسه مظهرا من مظاهر الثقافة اليهودية والتي تمتزج ولاشك بالثقافة المحلية للمجتمع الزباني.

ومع اقتراب موعد الميلاد تبدأ عملية تقطيع "ألكماط"⁴ وهو ما يعرف بالعبرية "تقطيع ألكماط"، وهي لفظة على ما يبدو محلية حولت إلى العبرية، ولا زالت اللفظة مستعملة بين عرب شمال إفريقيا إلى اليوم.

عندما تشعر المرأة بآلام المخاض، تستدعي "القابلة" التي تشرف على عملية الولادة، ويرافق الولادة حفل كبير قد يستمر على مدى أسبوع كامل، أي من يوم الولادة إلى غاية يوم الختان⁵، إذا كان المولود ذكرا، أما إذا كان أنثى يستمر الحفل حسب إمكانيات العائلة.

¹ - ليلي أبو المجد، مرجع سبق ذكره، ص 115.

² - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 117.

³ - أنيس ثروت الأسيوطي، نظام الأسرة بين الاقتصاد والجماعات البدائية في إسرائيل، دار الكتاب العربي، القاهرة د.ت، ص 204.

⁴ - حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، مرجع سبق ذكره، ص 93.

⁵ نفس المرجع، ص 94.

5. الختان

تتم عملية الختان أو "المهيلة" باللغة العبرية في اليوم الثامن من ازدياد المولود¹، ويقام لهذه المناسبة احتفال ديني ضخم وتجرى مراسيم الاحتفال عادة في البيت ويمكن الاحتفال به في البيعة التي يصلي فيها الأب عادة أي المعبد، حيث تزين غرفة المولود بستائر "سفارديم" أو لفائف التوراة التي يقومون باستعارتها من البيعة، وتعلق أنواع مختلفة من التمام حول سرير النفساء، وذلك لوقاية المولود من العين الشريرة.

وتبدأ مراسيم الحفل بعد صلاة الصبح، حيث تلبس الأم مولودها حلة حريرية وترتدي بدورها لباساً مزركشاً بالذهب، وتقدم الأم ابنها إلى فدية الختان لحفظه من الموت، وليدخل دين إبراهيم، وهو عند اليهود عادة مقدسة استمدت قدسيته من كونها حلف مع الرب ذات مظهر دموي²، ونلاحظ كذلك امتهان الرجال لمهنة الختان أو "الطهارة" ويسمى الرجل الذي يقوم بهذه المهمة "الموهل"³، وقبل بدء عملية الختان يردد والد الطفل ورائه "حمد الختان"⁴، و هو ترتيل باللغة العبرية و هو كالتالي:

"الحمد لله رب العالمين الذي سن لنا هذا الدين وأمرنا بإختان البنين".

"الحمد لله رب العالمين الذي سن لنا هذا الدين وأمرنا بإدخال البنين إلى ملة إبراهيم الأمين".

ثم يشرع "الموهل" في عملية الختان، ولا بد أن نشير أن الطفل لا يسمى إلا بعد ختانه وبعد مباركة الخمر التقليدية ومباركة النباتات العطرية كماء الورد والرياحين⁵، واختيار الاسم يختلف عند اليهود المهاجرين ولدى اليهود المحليين "التوشابيم"، فاليهود المهاجرين يسمون باسم جده

¹ - حايمم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، مرجع سبق ذكره، ص 54.

² - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 124.

³ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 124.

⁴ - رزق الله يوسف، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، دار الوراق للنشر، لندن، ط2، 1997، ص 335.

⁵ - حايمم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، مرجع سبق ذكره، ص 55.

الحي، في حين أن اليهود المحليين يسمونه باسم جده المتوفي¹، ومن هنا نلاحظ الاختلاف الواضح في العادات والتقاليد بين الفئتين، هذا ما أدى إلى نشوب خلافات وصراعات بين اليهود.

6. طقوس دفن الموتى

جاءت اعتقادات وأفكار اليهود حول الموت من التوراة والتلمود والتقاسير كما غذتها الأساطير الشعبية².

وللطائفة اليهودية بإفريقيا جمعية تطوعية تختص بالموكب الجنائزي وإعداد مراسيم الدفن والجنائز والتكفل بوجبة العزاء، وعادة ما تسمى الجمعية³ بـ "حبرا قديشا" أي جمعية دفن الموتى. ويطلق على المقبرة مصطلح "المغارة" وهو مصطلح مغاربي⁴ موجود في شمال إفريقيا، حيث وجدت مقبرة لليهود في مدينة تلمسان تقع في الشمال الغربي للمدينة تحيطها أسوار عالية، وتخصص في المغارة أمكنة لوجهاء القوم وذوي النفوذ، مما يعكس الفوارق الطبقيّة في المجتمع. ومن العادة أن النائحات تتدبن وجوههن وتمزقن ثيابهن أثناء إعداد المراسيم الجنائزية⁵. وتجدر الإشارة إلى أنه من عادات اليهود كذلك، تمزيق آخر قميص للمتوفى وتوزيع قطعه بين أفراد العائلة.

المطلب الثاني: النشاط الثقافي - الديني لليهود

كان ليهود المغرب الأوسط حياة مليئة بالفلكلور الشعبي الثري والمتنوع، واختلط الدين عندهم بالعادات الشعبية، لدرجة لم يعد الخط الفاصل بينهما بيئاً، حيث هيمن الفلكلور على حياتهم

¹ - حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، مرجع سبق ذكره، ص 57.

² - نفس المرجع، ص 147.

³ - نفس المرجع، ص 148.

⁴ - برنشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، (تع): حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج 1 بيروت، ط 1، ص 447.

⁵ - العلاقي عبد الكريم، الأقلية اليهودية بتونس من اغتصاب الحماية إلى سنة 1948، شهادة تعمق في البحث، 1992، تونس، ص 447.

اليومية. وهذا ما يفسر تمسك اليهود بعاداتهم وتقاليدهم الدينية والثقافية في كنف الحضارة الزيانية، سيما أنهم لقوا تسامحا من المسلمين أتاح لهم إقامة مدارسهم التعليمية ومعابدهم الخاصة¹.

1. التعليم التربية

كان التعليم عند اليهود دينيا بالأساس²، إذ أنشأوا المدارس الدينية في معظم مدن المغرب الأوسط. وكانت مدرسة تلمسان التي تأسست في القرن الرابع هجري أولها³، ومن أشهر العلماء الذين درسوا بها عالم الدين "ريباش" (1310 م/1408م) الذي ولد ببرشلونة وانتقل إلى تلمسان ليصبح كبير حاخاماتها⁴. وقد خلفه في منصبه بعد وفاته صديقه "رشباش" (1331م/1442م) الفرنسي الأصل والجزائري المولد⁵. ومن الشخصيات الدينية الأخرى الشهيرة في تلمسان الطبيب "أفرايم عنقاوة" (1359م/1391م)⁶ الذي أشرنا إليه سابقا بأنه صاحب الفضل الكبير في تجميع اليهود في أحياء خاصة بهم. ويقدم اليهود هؤلاء الأبحار والحاخامات، ويزورون قبورهم ويقدمون عندها القرابين في المناسبات الدينية.

2. القضاء

في المجال القضائي، كان لليهود محكمة محلية في العاصمة الزيانية تلمسان⁷، يلقب رئيسها بـ "أبي بيت الدين". وأنشأت محاكم محلية أخرى بمدن المغرب الأوسط، وكان القضاة اليهود يفصلون ويصدرون الأحكام في القضايا التي يكون كلا طرفيها من اليهود، أما القضايا التي يكون

¹ - حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه، دار القلم، دمشق، 1999، ص104.

² - شفيق مقار، السحر في التوراة والعهد القديم، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1990، ص349.

³ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 139.

⁴ - مصطفى بن حموس، يهود الأندلس في تلمسان قصة النزوح والإقامة، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3-4)، ب ب، 2011، ص177.

⁵ - نفس المرجع، ص177.

⁶ - عبدلي لخضر، مرجع سبق ذكره، ص200.

⁷ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 127.

أحد طرفيها مسلما، فيختص بالنظر والفصل فيها القضاء الإسلامي التابع للدولة الزيانية¹. وكان هناك ما يعرف بـ "الناجد" وهو لفظ توراثي يعني الأمير أو قائد² وهو الزعيم الروحي للطائفة اليهودية والناطق باسمها لدى السلطات، ويقود الطقوس والشعائر الدينية ويقوم بالإجراءات المتصلة بالأحوال الشخصية مثل الزواج والطلاق³، ويتمتع بسلطات قضائية وإدارية واسعة، تعيين القضاة والموظفين في القرى والأرياف والمسؤولين عن الأمور المالية للطائفة. ومن أشهر من تولى هذا المنصب الطبيب "موسى بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي" المعروف بابن الأشقر⁴.

3. اللغة العربية عند اليهود

المعروف أن اليهود كانوا يتحدثون باللغات المحلية للمجتمعات التي يعيشون بها واهتموا باللغة العربية فتعلموها واستخدموها، فالإمام بها يتيح لهم فرص العمل والاندماج في المجتمع⁵، خاصة في مجال العقود التجارية والمعاملات المالية، وكذلك الوثائق القانونية في المحاكم.

وقد كان لليهود نتاج أدبي باللغة العربية فتمت ترجمة التوراة وشرحها باللغة العربية، كما لهم مؤلفات بالعربية في علوم التصوف اليهودي والفلسفة وعلم اللاهوت، بل أكثر من ذلك فهناك دراسات في النحو العبري كتبت باللغة العربية، وأصبحت اللغة العربية لغة تخاطب وأدخلوا عليها بعض المصطلحات العبرية خاصة فيما يتعلق بالأمور الدينية⁶، ومن أشهر اليهود الملمين باللغة

¹ - الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص ج10، ص56.

² - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 129.

³ - محمد عبد الوهاب خلاف، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، ب ط، القاهرة، 1980، ص12.

⁴ - فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي (خلال القرنين 7-9هـ / 13-15م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2009، 2008، ص195.

⁵ - مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2009، ص175.

⁶ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص136.

العربية هو عالم اللغويات "يهودا بن قريش التهرتي" نسبة إلى مدينة تهرت، عاش في القرن الثالث هجري¹.

كما كانت الحركة الثقافية اليهودية في المغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي جزءا من الحركة الثقافية الإسلامية، نشأت وترعرعت في الوسط الإسلامي، وقد حاول بعض اليهود إثبات وجود قومية عبرية في المنطقة، إلا أن منهم من اعترف بفضل العروبة والإسلام² وكذا اللغة العربية التي فرضت بصماتها العميقة في روح اليهودية بشمال إفريقيا، وظاهرة تعرب اليهود تظهر في استعمالهم اللغة العربية حتى في الأعياد والطقوس الدينية، ولا يتردد رجال الدين و اللغويين وحتى القراء في استخدام اللغة العربية لتعليم حقائق عقيدة اليهود.

4. المعتقدات والعادات الشعبية

عرف اليهود بالمغرب الأوسط بحياتهم الثقافية المتنوعة فكان من عادات نسائهم سرد الحكايات الشعبية وتحفيظها للصغار³، وأخذ اليهود عن العرب كتابة القصائد وتلحينها⁴، وعرفوا بالأمثال الشعبية التي احتوت فلسفتهم في الحياة وحكمة الأجيال العديدة⁵، وكانت الحياكة والتطريز من فنونهم الشعبية و خاصة بالنسبة للنساء، حيث نجد أنه في غالب الأحيان تغلب العادات الشعبية على العقيدة الدينية، فكثر الاعتقاد بالجن أسوة بالمسلمين مع الاختلاف البسيط في أن جن المسلمين كان أخضر اللون وجن اليهود أسود، وبأن الأول كان يهاجم الناس أيام الجمعة والثاني أيام السبت، وارتداء حجاب خاص وقاية منهم يدعى "الخمسة" مصنوعة من الفضة على شكل كف⁶ كتب عليها آيات من التوراة، وكانت زيارة قبور الأولياء من اليهود الذين كانوا يؤمنون

¹ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 144.

² - فوزي سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 83.

³ - مسعود كواتي، مرجع سبق ذكره، ص 176.

⁴ - فوزي سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 85.

⁵ - حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، مرجع سبق ذكره، ص 94.

⁶ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 123.

ببركاتهم شائعة عندهم¹، كما امتدت البركة إلى الحاخامات الذين داوم اليهود على زيارتهم ومشاورتهم في كل كبيرة وصغيرة.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية للنصارى

لم تشر المصادر التاريخية في المغرب الأوسط إلى النصارى كطائفة دينية لها نظامها الاجتماعي ولها مراكزها التعبدية الخاصة بها، حيث لم تكن لها آثار اجتماعية واضحة المعالم، وبالتالي فإن الجالية التي برزت هي نتاج لظاهرة جديدة عمت حوض البحر المتوسط ألا وهي القرصنة، والتي ما أفرضت ما يعرف بتجارة الرقيق.

المطلب الأول: مظاهر الحياة الاجتماعية للنصارى في المجتمع الزياني

فر أغلب النصارى من بلاد المغرب إلى بعض الأقطار الأوربية كجزيرة صقلية واليونان وإيطاليا وإسبانيا، إثر الفتح الإسلامي له، ولم يبقى منهم إلا القليل، وقد لاحظ البكري بقية منهم في تلمسان²، كانت لهم كنيسة معمورة ظلت قائمة يؤمها نصارى المدينة، حتى النصف الثاني من القرن الخامس هجري، أي الحادي عشر ميلادي، غير أن النصرانية عكس اليهودية، ما فتئت أن تراجع أمام الإسلام الذي أخذ ينتشر بين أهل المغرب³، بدون انقطاع منذ القرن الأول هجري، السابع ميلادي ولم تلبث المسيحية أن انقرضت تدريجيا، واختفى ما تبقى من العناصر المسيحية، لأن الموحدين أزالوا ما بقي من مظاهرها، ولهذا يمكن القول بأن المسيحيين المتواجدين في المغرب الاوسط في العهد الزياني ليسوا من بقايا القدماء⁴، وإنما من النصارى الذين قدموا إليها في هذه الفترة وهم ينقسمون إلى أربعة أصناف منهم: الجند، التجار، رجال الدين، الأسرى.

¹ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 125.

² - البكري، مصدر سبق ذكره، ص 76.

³ - عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج 7، ص 105.

⁴ - بوعيايد محمود، جوانب من الحياة في المغرب الاوسط، ش و ن ت، الجزائر، 1977، ص 40.

1. منازل النصارى بالمغرب الأوسط

سكن النصارى في مدينة تلمسان بحي خاص بهم عرف بـ "ربض النصارى"، واهتموا بالمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم وممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية¹. فقد اعتبرت مدينة تلمسان منطقة جذب واستقطاب للجالية المسيحية²، وهذا راجع إلى موقعها الجغرافي الذي يسمح بممارسة مختلف الحرف، كما عرفت مدينة تهرت توافدا معتبرا من الجالية المسيحية، ويظهر هذا من خلال اتخاذهم لبعض الأحياء مستقرا لهم مثل حي الكنيسة الذي أقيم في مكان مرتفع من المدينة بنوا فيه منازل وقصور³، كما سكنوا مدينة الجزائر التي وجدت بها كنيسة عظيمة⁴، كما توجد النصارى بمدينة مليانة و آرزبوا⁵.

2. الفنادق

يعتبر انتشار الفنادق في المغرب الأوسط في العهد الزياني من أهم الأماكن التي كانت تنزل بها الجالية المسيحية، فقد احتوت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية على عدة فنادق⁶ تقع بالحي التجاري، يقطنها في الغالب الأعم التجار المسيحيون والقناصل، وخاصة منهم ممثلي الشركات التجارية الأجنبية⁷، التي تقوم بعملية التصدير والاستيراد، حيث كانت بعض الفنادق ملكا عقاريا خاصا للجالية المسيحية التي كانت تقيم بها، وتشرف على تسييرها وصيانتها وتوسيعها وبناء الكنائس وترميمها⁸، وقد تركت لنا بعض النصوص أسماء فندقين بمدينة تلمسان هما فندق

¹- ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (تح): إحسان عباس، ب ن، تونس، 1983، ص 403.

²- البكري، مصدر سبق ذكره، ص ص 241، 243.

³- نفس المصدر، ص 247.

⁴- نفس المصدر، ص 259.

⁵- عبد العزيز فيلالي، مرجع سبق ذكره، ص ص 65، 66.

⁶- Mas- Latrie, Traites de peux et de commerce et documents divers concertent, Les relations des chrétien avec les arabes de l'Afrique, Paris, 1872,p167.

⁷- Sid Ahmed Bouali, Les deux grande sièges de Tlemcen, ENAL, moten° 185, 1980,P107.

⁸- سامي سلطان، الجاليات الإيطالية في الدولة الزيانية، مجلة سيرتا، عدد 10، الجزائر، 1988، ص 91.

الشماعين¹، وفندق المجاري²، وجاء ذكر اثنين آخرين خصصا لإقامة التجار الوافدين من جنوه و البندقية في وصف إفريقية للحسن الوزان دون أن يذكر أسمائهم³.

3. الطبقات المسيحية في المجتمع الزياني

كان للوجود المسيحي بالمغرب الأوسط له عدة أشكال وأسباب، حيث تمثل هذا الوجود المسيحي داخل المجتمع الزياني في أربعة أصناف نذكرها فيما يلي:

3-1. فئة التجار:

سمح الموقع الجغرافي للمغرب الأوسط والذي يعتبر همزة وصل يربط بين أوروبا و بلاد السودان، بتوافد أعداد كبيرة من التجار الأوروبيين للإشراف على تجارتهم⁴، سواء لشرائها أو شحنها، حيث أقام التجار في المغرب الأوسط داخل فنادق خاصة بهم تحت إشراف قناصل بلادهم المعتمدين من قبل الدولة الزيانية⁵، ولقد كان لهم تأثير واضح في الحياة الاقتصادية في المجتمع الزياني، وهذا من خلال تحكمهم في الطرق التجارية خاصة البحرية منها والمبادلات التجارية بين أوروبا والمغرب الإسلامي، وكان معظم التجار النصارى الوافدين على الدولة الزيانية بأتون من أقطار مختلفة من أوروبا كالأندلس وصقلية وجنوه والبندقية..... وغيرها من المدن الأوروبية الأخرى⁶.

¹- Brenshnig, La Berberie orientale sous le Hafside origines a la lucide11 siècle, Mais meuve, Paris, P P431,432 .

²- أبو عبد الله بن أحمد ابن مريم، البيستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبة، الجزائر، 1908، ص275.

³- الوزان، مصدر سبق ذكره، ج1، ص20.

⁴- عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص85.

⁵- الوزان، مصدر سبق ذكره، ج2، ص9.

⁶- عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج7، ص244./ الوزان مصدر سبق ذكره، ج2، ص9.

3-2. فئة الجند

لم تتحدث المصادر التاريخية عن وجود فرقة عسكرية في الجيش الموحي، إلى أن عهد الخليفة المأمون ظهرت فيه فرقة مسيحية "الجند المرتزقة" والتي رافقت على أعدائه، وبقيّة فيه إلى أن قتل الخليفة السعيد الموحي سنة 1237/636م انتقلت هذه الفرقة المسيحية التي تتكون من ألفي جندي، من خدمة الموحدين إلى خدمة الزيانيين واستمروا على مراتبهم العسكرية مشكلين بذلك فرقة خاصة للسلطان الزياني داخل الجيش، لكن محاولتهم اغتيال السلطان يغمراسن بن زيان سنة 1254/652م¹ أثناء استعراض عسكري خارج مدينة تلمسان، جعل سلاطين الدولة الزيانية يكفون عن استخدام الجند النصراني بعد هذه الحادثة في الجيش²، و مع قدوم السلطان أبي حمو الزياني الثاني برزت الطائفة النصرانية إلى الواجهة³، وذلك من خلال استخدام فرقة منهم في جيشه، وفي إشارة له في كتابه واسطة السلوك⁴ إلى أن الجيش الزياني يتكون من الأعلاج و النصراري و الأعزاز.

3-3. الأسرى المسيحيين

كان المسلمون يقومون بغزوات إلى جزر البحر الأبيض المتوسط، وإلى الشواطئ الاوربية ولا يترددون في اعتقال المسيحيين وأسره⁵، وكان المسيحيون يغيرون أيضا على شواطئ المغرب الأوسط فيقعون في بعض الأحيان أيدي حراس الشواطئ، فيقودونهم إلي السجون و يدخلون في إطار الأسري كذلك.

¹ - ابن الأحمر، الدولة الزيانية بتلمسان، (تح): هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2001، ص21.

² - الوزان، مصدر سبق ذكره، ص 22./ يحي بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص206.

³ - عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج13، ص84.

⁴ - الدراجي بوزيان، مرجع سبق ذكره، ص257.

⁵ - أحمد عبد القادر، الحياة الأدبية في تلمسان في القرن الثامن هجري، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1988، ص21.

استفاد الزيانيون من الأسرى المسيحيين في بناء وإعمار مدينة تلمسان، ويتضح ذلك من إشارة يحيى بن خلدون في بغية الرواد¹ فقال "ولع-السلطان أبو تاشفين- ببناء وتجبير القصور وتشبيد المصانع، واغتراس المنتزهات مستظها على ذلك بآلاف عديدة من أسرى الروم بين نجارين وبنائيين وزواقين وغير ذلك".

قام الأسرى المسيحيين بدورهم في المجتمع الزياني حتى أنهم أصبحوا جزء منهم، وهذا يتضح من خلال رسالة جوابية بعث بها السلطان أبو تاشفين الأول إلى ملك الأرجون حول موضوع الأسرى فقال "وأما ما أشرت إليه من تسريح جميع من عندنا من الأسرى فصعب، لأن ذلك يخلي المواضيع ويعطل ما يحتاج إليه من أنواع الصنائع"².

3-4. جوارى القصور

إن النتيجة الاجتماعية المباشرة لوجود ظاهرة الرقيق الأبيض تمثلت في انتشار الجوارى والغلمان خاصة لدى أرباب الدولة، فقد كانت القصور الزيانية تعج ولا شك بالجوارى النصرانية اللاتي أصبحن أمهات وبنات حريتهن، بل وأصبحن من سيدات قصور الدولة³.

لقد كان لكثرة الجوارى في العهد الزياني سببا في وجود من تقوم على تنظيمهن والإشراف عليهن، ويذكر ابن خلدون من أنه وجدت امرأة كبيرة في السن ذات خبرة وتجربة بقصور حكام بني عبد الواد بتلمسان، عرفت بقهرمانة القصر المسماة " دعد " ⁴ كانت تشرف على الجوارى.

¹- يحيى ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص 216.

²- احمد عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص 21.

³- الزبيدي، مصدر سبق ذكره، ص 599.

⁴- عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص 464.

المطلب الثاني: النشاط الديني والثقافي للنصارى

تشير المصادر إلى أن النصارى الذين كانوا متواجدين ببلاد المغرب الأوسط لم يكن لهم دور كبير في الجانب الديني والثقافي على عكس المجال الاقتصادي¹، فإن وجدت كانت بقيادة رجال الدين، وتمثل دورهم في الأساس على حث الجنود المسيحيين بالتمسك بالديانة المسيحية والمحافظة عليها.

1. الكنائس

كانت توجد عدة كنائس بمدن المغرب الأوسط يؤدي النصارى فيها شعائهم وطقوسهم الدينية بحرية، لدرجة أن أصواتهم كانت تسمع من الخارج²، وكانت هذه الكنائس بسيطة في بنائها، وهي عبارة عن غرفة كبيرة لا يسمح بارتفاعها وعلوها كثيرا³، وقد عرفت كنائس الجنوبيين والإيطاليين والبنادقة باسم⁴ القديسة (Sainte marie) متواجدة أغلبها على مستوى الفنادق، إذن لم تكن للجاليات المسيحية الإيطالية في تلمسان كنائس أخرى خارج الفنادق.

2. رجال الدين المسيحيين بالمغرب الأوسط

إن تواجد جالية من النصارى بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني يتطلب ضرورة حضور رجال الدين الممثلين للكنيسة الرومانية لأن التجار يتمتعون بمعاهدة تضمن لهم حرية بناء الكنائس الصغيرة في الفنادق التي يقيمون فيها⁵، و يؤكد ذلك ما جاء في كتاب المعيار "للوشريسي" "جدد بعض النصارى كنيسة في فندقهم وعلا عليها شيء يسبه الصومعة، فطلبوا بذلك، فأتوا بكتاب

¹ - محمد أحمد بن قاسم العقباني، تحفة الناظر وبنية الذكار في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، (تح): علي الشنوفي، مجلة المعهد

الفرنسي للدراسات الشرقية، عدد 1، دمشق، 1965. 1966، ص19.

² - البكري، مصدر سبق ذكره، ص245.

³ - سامي سلطان، مرجع سبق ذكره، ص91.

⁴ - نفس المرجع، ص91.

⁵ - نفس المرجع، ص92.

العهد، فوجدوا فيه أنه لا يحال بينهم وبين أن يبنوا بيتا لمتعباتهم"¹، وكان مسموحا لهم أيضا بإنشاء مقبرة لدفن موتاهم حسب طقوسهم الدينية.

كان لرجال الدين مهمة إنسانية أخرى إلى جانب المهمة الدينية وهي افتداء الأسرى²، ويتم الافتداء وفق رخصة صريحة من طرف الوالي أو السلطان، وكانت مهمة هؤلاء القساوسة تتم تحت رعاية السلطة المحلية، حتى لا يتجاوزوا حدود صلاحياتهم ويتحولوا بذلك إلى مبشرين بالدين المسيحي في الأوساط الإسلامية، لأن البابوية حملت مشروعاً لإعادة النصرانية إلى ربوع المغرب³، وأن دراستهم للغة العربية وتعليمها في المدارس المسيحية، تعد وسيلة من وسائل التبشير في أوساط سكان بلاد المغرب.

3. اللغة العربية عند نصارى المغرب الأوسط

لم ينحصر التأثير العربي على يهود المنطقة فحسب، بل ان بعض الباحثين الأجانب تحدثوا عن الصلات الفكرية بين أوروبا والمغرب الإسلامي التي توثقت عن طريق التجار والمهاجرين وطلبة العلم و الأسرى والسفراء وغيرهم⁴، فلا شك أن الثقافة الإسلامية لعبت دور المرشد الأمين وأمدت متعلمي القرون الوسطى بمادة كثيرة لدراستهم⁵، فقد تعلم المسيحيون أصول الترجمة التي رعاها ملوك مشهورون من نواحي أوروبا، وعلى ما يبدو أن استعمال اللغة العربية كان شائعاً بين نصارى المغرب الاوسط وخير ما يؤكد ذلك أن أحد أساقفتهم المدعو " مقائيل بن عبد العزيز" كتب بخط يده نسخة من الإنجيل⁶ باللغة العربية ظلت محفوظة بخزانة الاسكوريال إلى القرن

¹- الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص 341.

²- Attallah Dhina, Les états de l'occident musulman aux 9 et 13 siècles, OPU/ENAL, Alger.1984, P380.

³- سامي سلطان، مرجع سبق ذكره، ص92.

⁴- Attallah Dhina, op.cit., P481.

⁵- محمد بن أحمد العقابي، مصدر سبق ذكره، ص31.

⁶- سامي سلطان ، مرجع سبق ذكره، ص93.

السادس عشر ميلادي، الأمر الذي يعكس اهتمامهم بتعلم اللغة العربية لتسخيرها للتبشير الديني للمسيحية بين المسلمين، وإتاحة الفرصة لهم لقراءة وفهم الإنجيل باللغة العربية.

4. الأعياد الدينية للطائفة المسيحية

لكل أمة أعياد و مواسم تحتفل بها كذكرى لتاريخ معين في حياتها ولقد كان النصارى يحتفلون في العهد الزباني بأعيادهم بكل حرية¹، وعلى العموم فإن أهم أعياد النصارى في المجتمع الزباني هو عيد الميلاد أي ميلاد المسيح عليه السلام، ويحدد بيوم 25 ديسمبر وكانوا يصومون أربعين يوماً قبله، ومن مظاهر إحتفال النصارى بالمغرب الأوسط عادة صنع الخبز من سميد صاف ويأكلونه مع الخمر، وتزعم الكنيسة أن الخبز يستحيل إلى جسد المسيح وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح، فمن أكلها أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه²، و الظاهر أن المسلمين تشبهوا بالنصارى في صنع الأطعمة المخصصة للعيد مثل الزلابية وأكل البطيخ الأخضر والخوخ... .

¹ - برنشك، مرجع سبق ذكره، ج1، ص467.

² - الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، (تح): محمود علي حماية، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1984، ص93.

الفصل الثالث

**أهل الذمة ودورهم في النشاط
الاقتصادي**

**المبحث الأول: النشاط الاقتصادي
لأهل الذمة**

**المبحث الثاني: المبادلات التجارية
لأهل الذمة**

المبحث الأول: النشاطات الاقتصادية لأهل الذمة

عاش أهل الذمة في ظل التسامح الذي ميز المجتمع الزباني، وهو ما مكنهم من لعب دورا أساسيا في مختلف الأنشطة الاقتصادية؛ فامتحنوا الصناعة التي تنوعت بتنوع المواد الأولية، وزاولوا الزراعة التي ارتبطت بتربية الحيوانات، كما برزوا بقوة في المجال التجاري وذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي.

تميز سلاطين دولة بني زيان بسياسة اللين والتسامح مع أهل الذمة والتي حررتهم من جميع الضغوطات وسمحت لهم بممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها إلى جانب حياتهم اليومية في كنف المجتمع الزباني.

المطلب الأول: النشاط الزراعي

كانت لجودة الأراضي وخصوبتها¹ وتعدد طرق استغلالها ونظمها² وتنوع مصادر المياه وأساليب السقي عوامل مهمة في تفسير نوعية الإنتاج وكميته في الدولة الزبانية، حيث عُرفت تلمسان بالزراعة المروية من خلال القنوات والسقايات التي كانت تنتشر في الأراضي الزراعية الموجودة حول المدينة إذ كانت هذه المياه تستعمل للاستهلاك المنزلي والزراعي³، هذا ما ساهم في تنوع المحاصيل الزراعية داخل الدولة، وخير ما يؤكد على ذلك وصف "حسن الوزان" لمحاصيل مدينة تلمسان في كتابه وصف إفريقيا بقوله "وفي المدينة عدة ساقيات حيث الكروم المغروسة الممتازة تنتج أعنابا من كل لون، طيبة المذاق جدا وأنواع الكرز الكثيرة التي لم أرى لها مثيلا في جهة أخرى، و التين شديد الحلاوة وهو أسود غليظ طويل جدا، يجفف ليؤكل في الشتاء، والخوخ والجوز واللوز والبطيخ و غيرها من الفواكه المختلفة....."⁴

¹ - الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص 111.

² - النصيبي ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 79.

³ - الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص 137.

⁴ - الوزان، مصدر سبق ذكره، ص 20.

1. زراعة الأراضي

اهتم اليهود بالجانب الزراعي والذي يعتبر بدوره من أهم اقتصاديات العصور الوسطى، هذه العوامل شجعت أهل الذمة على زراعة الكروم وإنتاج الخمر¹، التي تعتبر من المحاصيل التي تدر عليهم أرباح كبيرة إذ كانت حكرًا على اليهود²، ومن الواضح أن منتجاتهم لم تقتصر على ذلك فقط فقد اهتموا أيضا بغرس الزيتون، كما تنوعت زراعة الخضر والفواكه عند أهل الذمة في الأراضي الخصبة المجاورة للأودية والعيون في شكل مزارع وبساتين وجنان³ التي كانت تنتج الجزر، واللوبياء، الكرنب، والبصل، الخيار، واللفت، الباذنجان، والقرع وقصب السكر، والخس⁴، أما الفواكه فهي مختلفة ومتنوعة مثل العنب والتين والسفرجل، والتفاح والزعرور والخوخ والمشمش، التوت والليمون والجوز وغيرها.....⁵.

كما نشير إلى أن الطبيعة الجغرافية للمنطقة ساهمت في تنوع المنتجات الزراعية بالنسبة للذميين حيث لم يقتصر على منتج معين، كما يذكر "الإدريسي" "غلاتها ومزروعاتها كثيرة وفواكهها جمة"⁶ وهو ما يدل على التنوع الفلاحي.

نستطيع القول هنا أن أهل الذمة قد ساهموا بشكل واضح في المجال الزراعي داخل الدولة الزيانية، وهذا راجع إلى عدة أسباب أولها الطبيعة الجغرافية للمغرب الأوسط خاصة عاصمة الدولة، هذا ما ساهم في تنوع المحاصيل الزراعية داخل الدولة.

¹ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص 89.

² - الإدريسي، مصدر سبق ذكره، ص 248.

³ - العبدري ابو عبد الله بن محمد، رحلة العبدري، (تح): محمد الفاسي، ب ن، الرباط، 1968، ص 16.

⁴ - الإدريسي، مصدر سبق ذكره، ص 250.

⁵ - نفس المصدر، ص 255.

⁶ - نفس المصدر، ص 248.

2. ملكية الأراضي

يعتبر موضوع امتلاك الأراضي الزراعية من قبل أهل الذمة من الإشكاليات الملغزة في تاريخ المغرب الإسلامي¹، حيث خلت المصادر التاريخية من الإشارة لذلك، والغالب في الأمر أن أهل الذمة في المغرب الأوسط عملوا على كراء الأراضي الزراعية من المسلمين والقيام بغرسها²، كما عين اليهود بحرثة أراضي المسلمين، لكن لم يستفيدوا من ملكية هذه الاراضي بل ظلوا يعيشون على كراءها، ونجد أن اليهود اهتموا بهذا الجانب أكثر من النصارى .

3. تربية الحيوانات و الرعي

كانت الأراضي في الدولة الزيانية مرعى للحيوانات المختلفة والماشية، إذ امتهن بعض اليهود مهنة الرعي وتربية الحيوانات حيث قاموا بتربية الأغنام والأبقار وقاموا بتصنيع الجبن والاتجار به، فضلا عن الاستفادة من لحومها ودهونها وجلودها، الأمر الذي يدل على امتلاك اليهود لأعداد كبيرة من قطعان الماشية تتيح لليهود إنتاجا اقتصاديا معتبرا³، حيث لم يترك اليهود مجال يحقق الربح دون الولوج إليه⁴، كما قاموا بتربية الإبل والخيول والحمير حيث كانوا يستغلونها في حرثة الاراضي من جهة وفي القوافل التجارية من جهة أخرى⁵.

المطلب الثاني: النشاط الصناعي

مثلت بعض الحرف والصنائع في المجتمع الزياني القاعدة الإنتاجية لما كان يقدمه الحرفيين من دور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية، فقد ظهرت في تلمسان أيام الدولة الزيانية منطقة

¹ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص90.

² - شريف عبد القادر، مرجع سبق ذكره، ص57.

³ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص91.

⁴ - المرجع نفسه، ص92.

⁵ - المرجع نفسه، ص93.

صناعية خاصة¹ تعرف "بدار الصنعة" وبرزت أيام السلطان "موسى أبو حمو الثاني"، ومما ساعد على ظهور دار للصنعة وجود حرفيين وصناع مسيحيين أسرى، حيث جاء في نص رسالة بعث بها السلطان عبد الرحمان أبو تاشفين إلى ملك الأرغون يذكر فيها وجود حرفيين مسيحيين في تلمسان² "...كان منهم نجارون وزلاجون وزواقون....."³.

فعلى الرغم من كون الصناعة كانت تمارس بطرق بدائية إلا أن اليهود والنصارى احتكروا بعض الحرف الصناعية مثل صياغة الذهب والفضة والنحاس، كما اشتغلوا بالحدادة والصياغة وصناعة الحرير واشتهروا بصناعة الخمر والدواء⁴.

1.الصناعات الزراعية

كان لأهل الذمة دور هام في المجال الزراعي، خاصة اليهود منهم، فالمعروف عن اليهود حبهم الكبير للثروة والربح، فلم يتركوا مجال يحقق لهم فائدة دون اللجوء إليه⁵، ومن المجالات التي اشتغل فيها اليهود هي الصناعات الزراعية، أي المنتجات التي تتطلب منتجات زراعية كمواد أولية من أهمها الخمر وصناعة الدواء.

1-1. صناعة الخمر

اهتم أهل الذمة بالتجارة واعتمدوا عليها بشكل كبير في كسب قوت يومهم، فكانوا يمارسون بعض الصناعات اليدوية التي تدر عليهم أرباحا كبيرة، فشغفوا بزراعة الكروم وإنتاج الخمر التي

¹ - يحي ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج 2، ص161.

² - الدراجي بوزيان، مرجع سبق ذكره، ص218.

³ - المليي مبارك بن محمد، مصدر سبق ذكره، ص ص285، 286.

⁴ - فوزي سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص30.

⁵ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص92.

حرمت على المسلمين، فاحتكرها أهل الذمة خاصة اليهود¹، فهي من الصناعات المرتبطة بالإنتاج الزراعي، فمن الطبيعي أن تزدهر هذه الصناعة في المدن القريبة من أماكن إنتاج الكروم.

1-2. صناعة الدواء

امتحن اليهود صناعة الدواء في المغرب الأوسط فقد نبغوا في الطب و اختلفوا به²، فقد برز منهم في مجال الطب عدة أطباء مشهورين منهم "موسى بن صئيل" والطبيب "أفرايم عنقاوة"، فقاموا بتحضير العقاقير والأعشاب الطبية و ابتكارها³.

2.الصناعات الحرفية

احترف أهل الذمة بالمغرب الأوسط مهن مختلفة، وتزايد هذا الاتجاه بفعل الأحداث التاريخية التي ألمت بهم وتكونت جماعات من الحرفيين والصناع، وازداد عددهم في المغرب الأوسط لأن أغلب قبائلها من البدو الذين هم أبعد الناس عن الصنائع⁴، فقد انتشرت عدة حرف وصناعات تقوم في أساسها على النشاط اليدوي التقليدي، فاحترف اليهود صياغة الذهب والفضة وكان لقرب بلاد المغرب من مصادرها الأثر الأكبر في شيوع هذه المهنة، فقد أقام اليهود الأسواق للمصنوعات الذهبية⁵، وخاصة في المدن القريبة من مصادره⁶، كما احترفوا تشكيل النحاس فاستخدموا النوع الأصفر منه في صناعة الصواني المستديرة وأدوات العبادة مثل

¹ - الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص418./الوزان، مصدر سبق ذكره، ص ص 327. 328.

² - الونشريسي، مصدر سبق ذكره، ص 319.

³ - جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، (تع) و (تح): عطية القومي، وكالة المطبوعات، الكويت، 1980، ص169.

⁴ - عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص434.

⁵ - الحكيم ابن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد 6، العدد

1-2، ص ص 136، 137.

⁶ مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، مصدر سبق ذكره، ص204.

الشمعدان¹ هو رمز لشجرة الحياة في الحياة اليهودية، بينما استخدم النحاس الأحمر في صناعة القدور والطاسات والمراجل، كما كان يصنع منه الأدوات المنزلية ولوازم الخيل من اللجام وحلقة القدم والسرج والحلي والأقراط والتحف والنقش عليها²، ويبدو أن إنتاج النحاس وتصنيعه كان منتشرا في المدن التجارية والصناعية التي سكنها الذميين وذلك لعلاقتهم التجارية مع بلاد السودان حيث كانت الصناعات النحاسية من أهم الصادرات الزيانية إليها³، كما تعتبر الحدادة من الحرف التي مارسها أهل الذمة ببلاد المغرب الأوسط حيث ظلوا يحترفونها في أواخر العصور الوسطى⁴، وقد برز النصارى بشكل خاص في هذا المجال.

3. الصناعات النسيجية

اختص أهل الذمة في الصناعات النسيجية من القطن والصوف والكتان ونسج الصوف مع الحرير، وبالخصوص الصناعات الحريرية ابتداء من تفكيكها إلى نسجها وصباغتها⁵، حيث عمل اليهود في هذه الصناعة حتى أضحت صناعة الحرير تضاهي منتجات صقلية و الأندلس أكبر مصانع الحرير في ذلك الوقت، حيث كان القماش الزياني يباع في الدول المجاورة ليلبسه سلاطينها وأغنيائها وسكان بلاد السودان وأوروبا، ومن بين أنواع الأقمشة التي اختص بها أهل الذمة نجد أقمشة الزرابي والحيك والحنابل، وهي زرابي طويلة من النقوش ، حيث كانت تصدر

¹ - يقلد اليهود الشمعدان الذهبي ذو الفروع السبعة الذي كان قائما في خيمة الاجتماع، وحوى هيكل سليمان عشر شمعدانات ذهبية فضلا على أعداد أخرى فضية، والشمعدان شجري الشكل يحتوي على عمود و أذرع على هيئة زهور اللوز، إشارة إلى شجرة الحياة، وفي كل معبد يوجد شمعدان اقتداء بشمعدان هيكل سليمان، وهو رمز يتكرر وجوده في كل استخدامات الفن، وحرص تصويره بشكله المقدس ويمكن صنعه بخمس أو ست فروع أو ثمانية فروع، أنظر: المسيحي عبد الوهاب، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2003، ص388.

² - الطمار محمد عمرو، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ش و ن ت، الجزائر، 1983، ص161.

³ - الإدريسي، مصدر سبق ذكره، ص241. / السنوسي يوسف، دور زناتة في المغرب الإسلامي من خروج الفاطميين حتى قيام المرابطين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين الشمس، مصر، 1985، ص335.

⁴ - الجرناني أبو الحسن، زهرة الأس، ب ن، الجزائر، 1922، ص33. / الوزان، مصدر سبق ذكره، ص163.

⁵ - جواتيائين، مرجع سبق ذكره، ص168.

إلى المغرب الأقصى والبرتغال وإيطاليا¹، كما عملوا في حياكة الملابس²، التي كانت تصنع وفق المعتقدات اليهودية التي أثرت في الشكل العام للملابس عندهم خاصة عند النساء والتي كانت تحاك وفقا لها، فحملت كف اليد والتي تحمل العدد خمسة للوقاية من الحسد³، وقاموا أيضا بإنتاج القماش الخاص بحياكة الملابس الذي كان يصدر القليل منه إلى أوروبا ومعظمها إلى بلاد السودان حيث يستخدم لحياكة ملابس فخمة للملوك ورجال الحاشية و الأثرياء.

4.الصناعات الجلدية و الصباغة

ازدهرت دباغة الجلود في المغرب الأوسط حيث اهتم اليهود بدباغة جلود المواشي والعلوج والثيران والخيول، بالإضافة إلى جلود البقر و الأغنام والإبل، حيث استخدمت معظمها في صناعة السفن وبعضها استخدم في صناعة سروج الخيل والملابس الجلدية والأحذية، وبلغت هذه الصناعة درجة من الرقي من خلال إنتاجها للورق الذي استعمل في الكتابة، وقد انتشرت صناعة الجلود على نطاق واسع في المدن التي سكنها اليهود، وكانت أسعار هذه الجلود تختلف حسب مدن المغرب الاوسط⁴.

كما إمتهن أهل الذمة حرفة أخرى هي الصباغة وما صاحبها من عمليات خاصة تحدد لون الخامات مثل التلوين بأوان قوس قزح مع صقلها وتلميعها وكان ذلك تخصصا يهوديا خاصا⁵، وقد كان اليهود يستوردون مواد الصباغة من مصر وفلسطين وكرمان وفارس ومن الهند⁶، وقد حمل صناع هذه المهنة لقب الصباغ.

¹ - القلقشندي، مصدر سبق ذكره، ج6، ص164.

² - الحكيم، مصدر سبق ذكره، ص138.

³ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص123.

⁴ - بشارى لطيف، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية في القرن 7 هـ إلى 10 هـ، رسالة ماجستير غير منشورة،

جامعة الجزائر، الجزائر، 1987، ص ص 250، 252.

⁵ - جواتيابين، مرجع سبق ذكره، ص169.

⁶ - عبد الرحمان ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ص102.

المطلب الثالث: النشاط التجاري

تعتبر التجارة من أهم الأنشطة الاقتصادية التي عرف بها المغرب الأوسط، والتي مارسها أهل الذمة فكان للاستقرار السياسي الذي شهدته هذه المنطقة خلال العهد الزياني أثر كبير في ازدهار الحركة التجارية وتنشيطها ويرتبط أساسا بوضعية الأسواق وتنظيمها في هذا العهد، والتي كانت تمثل مركزا للنشاط التجاري فشكلت بذلك مرآة عاكسة لحياة المدينة الاقتصادية ونشاطها التجاري والصناعي وكذلك الاجتماعي¹، فعرفت نشاطا متميزا في البيع والشراء وذلك بتشجيع كبار التجار وصغارهم على المشاركة في إقامة الأسواق الأسبوعية وتفعيلها في البوادي و المدن، وكانت هذه الأسواق تخضع لتنظيم وتسيير من قبل التجار على اختلاف أصنافهم ورؤوس أموالهم، إلى جانب فئات أخرى تتكفل بنقل السلع وحملها وآخرون يحددون الأسعار كوسطاء بين البائع والمشتري لتنظيم حركة نقل السلع والبضائع من مكان لآخر².

فأصبحت مدن المغرب الأوسط مقصدا للقوافل التجارية من مختلف الأقطار خاصة القادمة من أوروبا وغيرها من البلدان المسيحية وأصبحت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية همزة وصل بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، فازدهرت بذلك التجارة الخارجية والتي تحكم فيها التجار على اختلاف جنسياتهم، فنجد منهم تجار صغار يزاولون تجارتهم بمفردهم وأغلب هؤلاء يكونون إما مستأجرين للدكاكين والمتاجر أو متجولون في الأزقة والشوارع³، أوتجار يتنقلون بين المدن.

¹ - أحمد مختار العبادي، من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد 11، الكويت، 1980، ص 157.

² - مارمول كبرخال، مرجع سبق ذكره، ص 356.

³ - الحساني، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاقتصادية والثقافية)، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص 41.

3-1. النشاط التجاري لليهود

عرف نشاط اليهود التجاري بتجارة الأموال وتجارة التجزئة، خاصة وأنهم كانوا يكسبون قوت يومهم من محصول نشاطهم التجاري عن طريق بيع منتج الحرف اليدوية التي يمارسونها¹، وصناعة المعادن الثمينة، ومع الهجرة من الأندلس إلى بلاد المغرب برز دور اليهود التجاري، والذين عرفوا بمهاراتهم الفنية والتقنية التي زادت من ثراء المراكز السكنية الكبرى بالمغرب الأوسط، كما عرفت تجارتهم بالربا خاصة في تعاملهم مع التجار الأجانب²، وعرفوا بعمليات الصرف أو القرض الزمني، و عرفوا أيضا بتجارة التجول أي البيع في الشوارع³، كما لعبوا دور الوساطة بين التجار المسلمين و الأوروبيين⁴، وكانت الأسلحة والعبيد والحرير من أهم السلع التي تاجروا بها⁵.

3-2. النشاط التجاري للنصارى

كان للنصارى المتواجدين بالمغرب الأوسط دور هام في تفعيل النشاط التجاري مستغلين سياسة التسامح الديني، فحافظوا على جنسياتهم وحياتهم الدينية تحت حماية قناصلهم⁶، وعملوا على تنشيط الاستيراد والتصدير و كانوا يجلبون السلع ويبيعونها في أسواق الدولة الزيانية كوهران وهنين وتلمسان التي كان بها مركز القيصرية الذي تجمع فيه السلع وتتعقد الصفقات التجارية بين التجار المسلمين و المسيحيين⁷، خاصة في عهد السلطان "موسى أبو حمو" الذي استقطب الكثير من التجار والصناع⁸.

¹ - برونشفيك، مرجع سبق ذكره، ج1، ص433.

² - نفس المرجع، ص 443.

³ - فاطمة بوعمامة، مرجع سبق ذكره، ص233.

⁴ - عبد الرحمان بشير، مرجع سبق ذكره، ص ص78، 80.

⁵ - مبخوت بداوية، الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، دورية القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، العدد

التجريبى، الجزائر، 2008، ص59.

⁶ - نفس المرجع، ص 59.

⁷ - رشيد بروبية، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج3، الجزائر، ب ت، ص487.

⁸ - يحيى ابن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج2، ص161.

كما عرفوا بتجارة القماش بالذراع التي كانت سائدة آنذاك¹.

كما لعبت الموانئ التجارية دورا هاما في تفعيل المبادلات التجارية عن طريق البحر الأبيض المتوسط²، فقد كان التجار المسيحيين القادمون من أوروبا يتمتعون بالأمان و الحماية أثناء إقامتهم في مدن المغرب الأوسط أو أثناء رحلاتهم، كما كانوا أحرار في بيع سلعهم إما نقدا أو بالمقايضة على أن يلتزموا بواجبات مقابل هذه الضمانات منها الرقابة الدائمة على السلع والبضائع الواردة إلى أسواق المغرب الأوسط وعدم الاحتكار التجاري لسلعة معينة إلى جانب التقيد ببعض المحظورات المتعلقة بنوع البضائع المتبادلة و دفعهم للضرائب المفروضة على سلعهم للسلطة الحاكمة في تلمسان³.

المبحث الثاني: أهم الطرق والمبادلات التجارية لأهل الذمة

نتج عن الازدهار التجاري الكبير الذي عرفته منطقة المغرب الاوسط، وانتشار الطرق التجارية البرية والبحرية خلال عهد الدولة الزيانية تبادل تجاري مع الدول المجاورة لدولة بني عبد الواد ومع بلاد السودان والبلدان الاوروبية، فتعددت بذلك المبادلات التجارية وتنوعت والتي لعب فيها اهل الذمة خاصة اليهود الدور البارز فازدهر بذلك النشاط التجاري خاصة الخارجي للدولة الزيانية.

المطلب الأول: الطرق التجارية

يمكن القول في هذا الصدد أن اليهود والنصارى استفادوا من استبداد الأمن بالدولة الزيانية في جميع ربوع الدولة، ذلك أن الطرق التجارية كانت تعرف بعض الأخطار أثناء سقوط الدولة الموحدية فقد احتلت الدولة الزيانية مكانة قيادية في التجارة بالمنطقة لما تتمتع به من خصائص

¹ - التنسي، مصدر سبق ذكره، ص123.

² - فاطمة بوعمامة، مرجع سبق ذكره، ص233.

³ - الوئشريسسي، مصدر سبق ذكره، ص ص 217، 219.

جغرافية واقتصادية، إذ كانت مدينة تلمسان بحكم موقعها الجغرافي النقطة التي تلتقي فيها الطرق التجارية الرئيسية¹ والتي تربط افريقية بالمغرب الأقصى من جهة، وبين البحر الأبيض المتوسط والصحراء من جهة أخرى² باعتبارها منطلق للبضائع القادمة من أوروبا وغيرها من البلاد المسيحية ومنتهى للبضائع الصحراوية في مقدمتها الذهب مما أهلها لتتحكم في طريق القوافل التجارية، منها الطريق العابر للمغرب الإسلامي ينطلق من الأندلس نحو المشرق الإسلامي والذي يربط المدن الساحلية مع بعضها البعض من جهة، وبين المدن الداخلية من جهة أخرى³ كالطريق الذي يربط مكناسة مع المغرب الأقصى، ثم فاس، ثم تلمسان، ثم البطحاء، ثم مازونة ثم الجزائر، ثم بجاية، ثم قسنطينة، مرورا بعنابة، ثم تونس، ثم سوسة، ثم صفاقس، ثم قابس، ثم طرابلس، فالإسكندرية⁴ وطريق آخر يخرج من الجزائر ثم سطيف ثم ميلة ثم قالمة⁵.

كانت تربط الدولة الزيانية وبلدان المغرب المجاورة علاقات تجارية مزدهرة إلا أن ازدهار النشاط التجاري كان مرتبطا بالأحوال السياسية فيها وكان تجار الدولة الزيانية يجولون ويجوبون المدن المغربية ويصلون إلى بلاد السودان الغربي مع القوافل مما استوجب وجود طرق برية داخلية وساحلية، وتعتبر تلمسان محطة مهمة على الطرق التجارية البرية الواصلة بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، ومحطة على الطرق البرية الداخلية بين المدن الزيانية فهي من أحسن مدن الشمال الأفريقي الغربي لكونها ملتقى الطرق الرئيسية الرابطة بين الشرق والغرب من جهة وبين الشمال والجنوب من جهة أخرى، فالداخل للمغرب الأقصى اتيا من مراكش أو فاس لا بد له من المرور عليها والنزول والاقامة بها وكذلك القادم من القارة الأوروبية وخاصة من جزيرة الأندلس عبر البحر الأبيض المتوسط وموانئ وهران وارشقول وهنين وكذا القادم من الواحات الصحراوية

¹ - رشيد برويبة، مرجع سبق ذكره، ص 477.

² - نفس المرجع، ص 477.

³ - القلقشندي، مصدر سابق، ص 151.

⁴ - ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم اللواتي الطنجي ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار،

(شر): طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص 30.

⁵ - عبد العزيز فيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 195.

والبلاد السودانية لآبد له من المرور عليها وحط الرحال بها¹، فقد كانت مدينة تيزيل الواقعة جنوب تلمسان هي منطلق القوافل إلى سجلماسة² وورقلة³ ومنها إلى السودان⁴.

كما وجدت طرق أخرى تربط تلمسان مع بلاد السودان منها طريق من تلمسان ثم توات ثم نحو الجنوب باتجاه حوض وادي مغروش نحو بلاد السودان⁵ حيث جاء في وصف "ابن خلدون" للطريق التجاري الرابط بين الدولة الزيانية وبلاد السودان قائلاً: "فلا بد لهم في كل سنة من رحلة إلى قصور توات وبلاد تمنطيط، ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الأمصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيط، ثم يبرذقون منها إلى السودان"⁶، بالإضافة إلى طرق أخرى تمر على جبال الأطلس الصحراوية الشمالية حتى المسيلة إلى نقاوس ثم بجاية ثم تبسة وصولاً إلى جنوب تونس⁷.

كما توفرت الدولة الزيانية على طرق بحرية إضافة إلى الطرق البرية، فاحتوت خطوطاً بحرية هامة ربطت بين موانئ تلمسان مثل هنين والمرسى الكبير ومدن المغرب الساحلية مثل الجزائر وبجاية وسبتة وطنجة⁸، وطرق تجارية بين موانئ المدينة وأوروبا مثل خط جنوة مع بلاد المغرب الذي يمر مباشرة بهنين بعد المرور بمرسيليا وبرشلونة، وخط البندقية وخط بلاد المغرب الذي يمر

¹ - الحاج محمد بن رمضان بن شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، د م ج، ط 3، 2011، ص 27.

² - سجلماسة: مدينة بنيت على سهل وادي زيزو احيطت بسور عالي مازالت بعض اجزائه قائمة وكانت مدينة متحضرة جدا وسكانها اثرياء بسبب تجارتهم مع السودان. انظر: حسن الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 127

³ - ورقلة مدينة بناها النوميديون في صحراء نوميديا يوجد في ضواحيها عدة قصور. انظر: الوزان، مصدر سبق ذكره، ج 2، ص 136.

⁴ - عبد الله شريط، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980، ص 133.

⁵ - الادريسي، مصدر سبق ذكره، ص ص 250، 252.

⁶ - بن خلدون، مصدر سبق ذكره، ج 7، ص 77.

⁷ - عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني (633-962 هـ/1235-1555م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2002، ص 195.

⁸ - الوزان، مصدر سبق ذكره، ج 2، ص 11.

بالإسكندرية ثم بلاد المغرب¹، والخط المباشر بين إيطاليا والمغرب الأوسط حيث تنتقل السفن مباشرة بين المدن الإيطالية ومدن المغرب الأوسط و خاصة بين البندقية و هنين²، فقد كانت السفينة تصل من سردينيا الى تنس خلال عشرة أيام ثم تنتقل إلى مازونة ثم مستغانم ثم تلمسان³ أما السفن الصغيرة فقد كانت تدخل إلى ميناء هنين ثم تنتقل إلى تلمسان عبر النهر المار بها⁴ حيث استخدمت هذه السفن الصغيرة للنقل البحري بين موانئ الدولة الواحدة و القريبة من بعضها أما السفن الكبيرة فاستخدمت للنقل البحري بين الموانئ البعيدة⁵.

المطلب الثاني: المبادلات التجارية

عرف المغرب الأوسط في العهد الزياني مبادلات تجارية عديدة مع بلاد السودان والبلدان الأوروبية أهمها مرسيليا، قشتالة، أرغون، مايورقة، صقلية⁶، والبندقية⁷،... الخ حيث شجعت الدولة الزيانية ذلك بعقد عدة اتفاقيات دولية تجارية مع الجمهوريات والممالك المسيحية في حوض البحر المتوسط⁸، وهو ما أعطى لأهل الذمة حرية ممارسة نشاطهم التجاري خاصة الخارجي ولذلك ازدهر دورهم التجاري، حيث كون اليهود صلات قوية بينهم وبين يهود ومواطني البلاد الأجنبية وبذلك توطدت علاقاتهم مع شبه الجزيرة الأيبيرية وما ساعدهم على ذلك إتقانهم لعدة لغات مثل العبرية والفارسية والرومية والآرامية والإفريقية والصقلية إلى جانب اللغة العربية مما أدى إلى رواج التجارة وازدهار الموانئ المغربية المطلة على البحر الأبيض المتوسط فقد كان لموانئ الدولة

¹ - المراكشي، مصدر سبق ذكره، ص 286.

² - الوزان، مصدر سبق ذكره، ج 3، ص 15.

³ - ابن بطوطة، مصدر سبق ذكره، ج 2، ص 756.

⁴ - عبد الرحمان الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 233.

⁵ - بورقيبة رشيد و زملائه، مرجع سبق ذكره، ص 471.

⁶ - محمد المنوني، نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، عدد 3-4، ص 251.

⁷ - شارل دبل، البندقية جمهورية أرستوقراطية، (تج): احمد عزت عبد الكريم، توفيق اسكندر، دار المعارف، مصر، 1947، ص 66.

⁸ - محمد المنوني، مرجع سابق، ص 251.

الزيانية دور كبير في نشاط المبادلات التجارية مع العالم الخارجي منها مرسى هنين¹ الذي وصفه "حسن الوزان" بقوله: "هنين لها ميناء صغير محروس ببرجين تحيط بها أسوار عالية متينة، لاسيما من جهة البحر وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شرعية من البندقية تحقق أرباح جسيمة مع تجار تلمسان"²، وقد وصف "مرمول" تجارة الزيانيين مع السودان الغربي قائلا: "وأهم تجارتهم في غينيا، حيث يحملون بضائعهم كل سنة ويأتون منها بالتبر والعنبر والمسك، وسنور الزباد، ورقيق السود وأشياء أخرى من بضائع البلد، ويتاجرون بالتبادل محققين كثيرا من الربح حتى لتكفي رحلتان أو ثلاثة ليستغني التاجر"³.

ومن موانئ المغرب الأوسط التي لعبت دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية في عهد الدولة الزيانية المرسى الكبير الذي قال عنه "الحسن الوزان": "المرسى الكبير مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط بعيدة ببضعة أميال عن وهران... يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية في مأمّن عن كل عاصفة وإعصار"⁴ إضافة إلى موانئ مستغانم التي عرفت إقبالا واسعا للتجارة اليهودية فنجد أن اليهود قد نشطوا الحركة التجارية بين مايورقة والأرغون مع المغرب الأوسط واستقروا في موانئها وموانئ تنس لقرنها من البحر الأبيض المتوسط، فكانت موانئ الدولة الزيانية بمثابة شريان نشاطها الاقتصادي ومركز اتصال بالعالم الخارجي.

كما كانت الدولة الزيانية تصدر كميات كبيرة من المنتجات الخاصة كتربية المواشي مثل الغنم والماعز، والصوف والجلود والفواكه مثل التمور ومنتجات الصناعة التقليدية لاسيما صناعة

¹ - مرمول كريخال، مرجع سبق ذكره، ص 300.

² - الوزان، مصدر سبق ذكره، ص 15.

³ - مرمول كريخال، مصدر سابق، ج 2، ص 300.

⁴ - الوزان، مصدر سابق، ج 2، ص 31.

السلال ونسج الحلفاء والزراي المنقوشة والذهب الذي كان هو المادة الأولى التي تجلب التجار إلى المغرب الأوسط¹.

بالإضافة إلى أن الدولة الزيانية كانت تضرب السكة فوجد الدينار والدرهم وأجزاؤهما المختلفة²، حيث ذكرها "الحسن الوزان" قائلا: "ويسك الملك نقودا من الذهب... ويسك نقودا فضية.... وأخرى

نحاسية متفاوتة القيمة والنوع وقد كان للزيانيين عملة مثل جيرانهم الحفصيين والمرينيين"³.

اعتمدت الدولة الزيانية في تجارتها نحو بلاد السودان على آلية مربحة قائمة على ثلاثة عناصر مهمة تمثلت في:

- مبادلة الذهب بالملح الذي تحتاجه بلاد المغرب الأوسط⁴.
- المبادلة مع الملوك وتمثلت هذه المبادلة في الخيول مقابل العبيد⁵ حيث كان الملوك من البلاد الأوروبية يتاجرون مع بلاد المغرب الأوسط خمسة عشر إلى عشرين عبدا مقابل كل فرس⁶.
- المشاركة في تجارة النحاس من المنجم إلى الأسواق الاستهلاكية والمبادلة بالأقمشة المصنعة محليا أو طرح بضائع أوروبية للبيع وعلى رأسها الأقمشة والتوابل.

أما التجارة البحرية فقد عرفت تراجع وكانت بنسب ضئيلة جدا ويعود ذلك إلى احتكار

¹ - رشيد بورويبة، مرجع سبق ذكره، ص 483.

² - نفس المرجع، ص 488.

³ - الوزان، مصدر سابق، ج2، ص 178 - 179.

⁴ - محمد زنبير، المغرب في العصر الوسيط (الدولة، المدينة، الاقتصاد)، (تن): محمد مغراوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط 1، 1999، ص 407-420.

⁵ - ابن بطوطة، مصدر سبق ذكره، ص 679.

⁶ - نفس المصدر، ص 679.

النصارى للسفن التجارية¹ فلم يسمحوا لليهود بركوبها.

1. دور اليهود في المبادلات التجارية للدولة الزيانية

احتل اليهود مكانة مرموقة بفضل نشاطهم التجاري فكانوا قناصل لتمثيل الملوك المسيحيين في الدولة الزيانية وخير مثال على ذلك اليهودي بن دافي الذي كان ممثلاً للملك الفونسو الثالث في معظم أعماله التجارية في تلمسان².

ومن أشهر التجار اليهود الذين نشطوا على مستوى البحر الأبيض المتوسط نذكر:

- كسال واصله من مايورقة وقد كان يعمل بمستغانم.
- ماستروبرونات وعمل هو الآخر بمستغانم.
- بويز الاب عمل بمستغانم والجزائر.
- سالا بريمي وقد كان تاجرا بمزهران.

2. دور النصارى في المبادلات التجارية للدولة الزيانية

لعب النصارى دوراً هاماً في المبادلات التجارية للمغرب الأوسط الذي تميز بموقعه الاستراتيجي، وكذا تلمسان عاصمة الدولة الزيانية التي كانت ملتقى الطرق التجارية الرابطة بين المغرب الأقصى والأدنى والبحر الأبيض المتوسط والصحراء، وتميزت كذلك بوفرة الموانئ³ حيث حافظوا على جنسياتهم وعلى حياتهم الدينية تحت حماية قناصلهم⁴ وبرز نشاطهم في مجال الاستيراد والتصدير حيث كانوا يبيعون السلع المختلفة في أسواق المغرب الأوسط والتي كانوا يأتون بها من

¹ - عمر سعيدان، علاقات اسبانية القطلانية بتلمسان في الثلثين الاول والثاني من القرن 14 م، منشورات تالة، الجزائر، ط2، 2011، ص27.

² - عمر سعيدان، مرجع سبق ذكره، ص27.

³ - عبدلي لخضر، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية بوهران، 2007، ص ص80، 82.

⁴ - عبد الحميد حاجيات، الجزائر في التاريخ، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 477-478.

مدن مختلفة ومن أشهر الأسواق التي عملوا بها أسواق وهران وهنين وتلمسان التي تحوي مركز القيصرية أكبر مركز تجمع للسلع و مركز عقد الصفقات بين التجار المسلمين والمسيحيين¹.

كما أثرت الحرب القائمة بين مسلمي اسبانيا و المسيحيين على العلاقات السياسية بين الدولة الزيانية ودول أوروبا وذلك بسبب مساندة الدولة الزيانية لمسلمي اسبانيا، وهو ما اثر سلبا على الجانب الاقتصادي ثم عادت العلاقة الودية بينهم بسبب حرص تجار النصارى على الحصول على الذهب وقد أبرمت عدة اتفاقيات ومعاهدات بين الطرفين² منها:

- معاهدة تلمسان مع مملكة الارغون سنة 684هـ/1286م.
- معاهدة تلمسان مع بيربيون والارغون سنة 784هـ/1362م.

كما فرضت رقابة جمركية على النصارى في الموانئ أما في المدن الداخلية فمارسوا نشاطهم التجاري بحرية مثل فاس وتلمسان³.

كما كان التجار النصارى يدفعون الضرائب على السلع التي تدخل الدولة الزيانية في الجمارك المركزية خاصة السلع التي تدخل عن طريق ميناء هنين و وهران، كما تعامل النصارى بالمقايضة والبيع والدين في ممارسة نشاطهم التجاري داخل الدولة الزيانية⁴ حيث ساهموا بدور كبير في الاتجار بالسلاح والرصاص والحديد بين المسلمين والصليبيين⁵ فقد صدر قرار يمنع المتاجرة به من كلا الطرفين وهو ما أدى بالتجار المسيحيين إلى اللجوء للتهريب ببلاد المغرب خاصة تلمسان⁶، ومن أشهر التجار المسيحيين نجد:

¹- Dihina Attallah, op cit, PP478.

²- Dihina Attallah, Idid, PP 376-377.

³- عبد الرزاق شقدان، مرجع سبق ذكره، ص200.

⁴- رشيد بربوية، مرجع سابق، ص478-489.

⁵- نفس المرجع، ص482.

⁶- عبد الرحمان شقدان، مرجع سبق ذكره، ص 201.

- سيما أرنو وهو تاجر وقنصل من مايورقة عمل بتلمسان.
- طوبي أرلو تاجر من مايورقة عمل بتلمسان.
- فيلاريس بيرنار تاجر من بلنسية عمل بتلمسان.

وقد كان نشاط اغلب تجار النصارى بالمغرب الأوسط بتلمسان وذلك للعلاقة الودية بين الدولة الزيانية وحكام النصارى.

ومن أهم السلع الصادرة من تلمسان الى أوروبا وبلاد السودان والتي كان لتجار النصارى دور كبير في نقلها المواد الزراعية والفواكه المجففة، والتمور، والعسل، الزرابي، الجلود، الذهب، والأغنام، بالإضافة إلى منتجات تلمسانية وأخرى أوروبية كالعطور والقرنفل والبخور، ومصنوعات زجاجية.

أما الواردات من أوروبا وبلاد السودان فتمثلت في الأسلحة (رماح، سيوف، خناجر)، الرقيق، الذهب، ريش النعام، النحاس، البهارات، الملح، منسوجات... الخ



الخاتمة

الخاتمة

نستخلص من خلال دراستنا، أن ما بلغته الحضارة الإسلامية في العصر الزياني من تطور ونضج ورقي هو بالأساس ناتج عن تنوع العنصر الاجتماعي، والتمازج الثقافي والتسامح الديني الذي تميزت به الدولة الزيانية، وفي خاتمة هذا البحث يتعين علينا أن نشير إلى جملة من النتائج التي توصلنا إليها والتي حاولنا تقديمها في النقاط الآتية:

يعتبر موضوع أهل الذمة من الموضوعات الهامة لتاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، حيث ثبت تاريخياً أن منطقة المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة اعتبرت منذ القدم منطقة جذب للعناصر الأجنبية سواء كانوا أفراداً أو جماعات ومن بين هؤلاء اليهود والنصارى، وقد كان للهجرة الأندلسية مساهمة فعالة لتوافدهم للمغرب الأوسط، حيث استقروا بحواضر المنطقة، وعاشوا إلى جانب السكان المحليين.

ولابد من الإشارة إلى أن سياسة التسامح الديني وانفتاح الدولة الزيانية على مختلف رعاياها دون تعصب أو تمييز، ساعد على تمكين أهل الذمة من احتلال مواقع هامة في المجتمع الزياني، وعلى تحقيق الأمن الاجتماعي وبلوغ النهوض الحضاري، حيث اتصف حكام هذه الدولة بروح التسامح والمساواة بين الرعايا، فأعطوهم الحقوق الكاملة التي أقرتها الشريعة الإسلامية، وقاموا بالدفاع عن مصالح كبار رعاياهم من اليهود في المعاهدات الدولية مع المماليك المسيحية بأوروبا كالآراغون وقطلانية والبندقية، وعليه عاش أهل الذمة بين ظهراي المجتمع الزياني كجزء لا يتجزأ منه يؤثرون فيه و يتأثرون به و يتفاعلون معه ملزمين بالتقيد بشروط عقد الذمة وعدم الإخلال بها.

وجد أهل الذمة في المغرب الأوسط مبتغاهم وذلك لطبيعته الجغرافية وطبيعة أهله البدوية فحققوا الاستقرار، وعملوا جاهدين لتحقيق ما صبت إليه أنفسهم في الوسط الزياني في مختلف

الميادين، فسعوا من خلال دورهم الاجتماعي الفعال لإبراز مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية لديهم (يهود ونصارى) كاللباس، الزواج، الأعياد الدينية... الخ

كما برز الدور النشط والفعال لهم في دعم البنية الاقتصادية للدولة الزبانية من خلال استغلال الإمكانيات المتنوعة لها و التي شكلت دعائم قوية لمختلف القطاعات المنتجة فمارسوا الزراعة والصناعة وسائر الأنشطة التجارية الأخرى.

فجعلوا من الزراعة مصدر مهم من مصادر الثروة الاقتصادية للدولة الزبانية، وساعدهم في ذلك حيوية الموقع الجغرافي، ووفرة مصادر المياه، وجودة التربة وتنوع المناخ، وبعض النظم المحكمة المتعلقة بكيفية استغلال الأرض الزراعية، إلى جانب التنظيم الجيد لظاهرة الرعي وتربية الماشية.

كما شهد القطاع الصناعي ازدهارا كبيرا بسبب اهتمامهم الكبير بالحرف بمختلف أنواعها، وذلك لوفرة المواد الأولية وتعددتها، فكان ذلك عاملا مشجعا على وفرة الإنتاج وتنوعه، حيث شكل قاعدة جديدة لبداية ترويجه وتسويقه.

و لعبوا دورا كبيرا في المجال التجاري، حيث ساهموا في تنشيط المبادلات التجارية للدولة الزبانية مع الدول المجاورة لها و بلاد السودان، والدول الأوروبية وساعدهم في ذلك عقد الدولة الزبانية لمعاهدات واتفاقيات تجارية دولية مع الممالك المسيحية بأوروبا.

وتجدر الإشارة إلى أن تأثير اليهود كان أكبر من تأثير النصارى في المهن لاسيما التجارة وذلك لأن عددهم أكبر فضلا عن انتشارهم في مدن واسعة داخل المغرب الأوسط وخارجه.

وختاما لا تدعي هذه الدراسة الشمولية المطلقة لكل القضايا المتعلقة بالموضوع سواءا بالنسبة لليهود أو النصارى، لكن نتمنى أن تكون حافزا لدراسة أشمل وأوسع للموضوع.

الملاحق

الملحق (01):

نص معاهدة تلمسان 05 شوال 739 هـ/1339م

((بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما.

يعلم من وقف على هذا الكتاب العزيز أو سمع أنه كتاب مهادنة ومساهمة ومعاهدة مصالحة عقده بحضرة مولانا أمير المسلمين بنعمة الله أبي الحسن علي بن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أعلى الله أمره كما رفع قدره، وعن أمره إذنه في ذلك الزعماء المذكورون بعد وهم: نملريق بيسقند دالاربونة ونملريق دلا ربونة صاحب طالبيرة، ودالما دقسطال ولوراكيط دي توتزا، أرسل السلطان الأسنى الأكرم الأصدق دون جقمان بنعمة الله سلطان ميورقة وكونت دار شالبون وقطاليا (سردانيا) ومولى منبشليق النائون عنه بحكم كتابه وعهد تعريضه اليهم المطبوعين بطابعه المعلوم عقد امضاه ابو الحسن المذكور والتزمه كما التزمته الارسال المذكورين عن سلطانهم دون جقمان المذكور على بلاد كل واحد من السلاطين المذكورين ورعيته وجميع ما في حكمه لمدة من عشر سنين شمسية أولها شهر ماي القريب مجيئنا لتاريخ هذا الكتاب وعلى شروط تذكر وهي أن يتردد المسافرون من كل واحد من الجهتين الى الأخرى محمولين على الأمان في نفوسهم وأموالهم وأجفانهم برا وبحرا في المراسي وغيرها فلا يعرض أحدا من كلتا الجهتين لأهل الأخرى بضرر ولا يؤذيه في ورد ولا صدر وأي جفن تكسر أو رمت به الريح أو البحر من أجفان الفريقين في ساحل من سواحل الجهتين فالأمان شامل للجفن وعمرته وما احتوى عليه من الأموال والتجارات والعدد يدفع ذلك لمستحقته ولا يمنع من مستوجهه وعلى أن لا يحمل النصارى المذكورين من بلاد المسلمين المذكورين زرعا ولا سلاحا ولا خيلا ولا جلدا مملوحا ولا مدبوغا وما عدا ذلك من التجارات فهو لهم مباح على ما جرت به العادة من المغارم المعروفة والملازم المألوفة لجميع بلاد مولانا السلطان أبي الحسن المعتاد لهم بها على سائر الزمن وكل ما يجلبونه فلا يزداد عليهم فيه زائد ولا يكلفون غير ما استقرت به العوائد وليمنع من الجهتين من التعرض لها ويعود على هذا العقد من نقد ويقر على حكمه بالرفض من افساد المراسي أو

ترويع المسافرين أو غير ذلك من وجود الافساد والأضرار ومن فعل شيئاً من ذلك فسلطانه يستد عليه في غرم ما أتلفه ورد ما أخذه ويعاقبه في نفسه بما يحتم عليه ويجعل عقابه ردعا لغيره ودفعا لفساده وغيره وليقدم لولاية الواحل من الجانبين بالتأكيد في هذا الأمر وحماية لهذا العقد وليعلن هذا الصلح من الجهتين الاعلان التسام حتى يكون هذا العقد محوطا والعهد مضبوطا بقول الله تعالى وعلى صحة هذا العهد كتب مولانا أبو الحسن علامته المعلومة وأمر بطابعه المعروف ووضح الارسال للموكلون المفوض اليهم المذكورون طوابعهم وكتب من يحسن الكتابة منهم خط يده وكمل ذلك كله في يوم الخميس الخامس لشهر شوال من عام تسع وثلاثين وسبعمائة وموافقة الخامس عشر أفريل العجمي سنة 1339 م وكتب في التاريخ المؤرخ به)).

انظر: عبد الرزاق شقدان، مرجع سبق ذكره، ص274.

الملحق رقم (2):

هذا نص رسالة من أبي موسى الزياتي إلى بطرس الرابع أراغونة.

((من عبد الله موسى أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين بن الأمير أبي يعقوب بن الأمير أبي زيد ابن الأمير أبي زكريا أبي مولانا أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن بن زيان أدام الله له عزا باهر الأنوار ونصر عالي المنار وسعدا رفيع المقدار إلى السلطان الأعز الأمانع المكرم المرفع المعظم المبجل الموتر المرعى الأحفل الأتور الهمام البطل الأشهر الأخطر ملك بني الأفرنج سلطان اراغون وبلنسية وميورقة وسردانية وقور وسغة وقمت برشلونة وقمت الرسليون وقمت سرديانة دون بيدروا أسعد الله برضاه وأرشده إلى سبيل هداة وأكرمه بتقواه أما بعد فانا كتبنا اليكم كتب الله لكم هداية تبلغ نيل الأمل وكرامة تصحبكم في كل حال من حضرتنا العلية المحروسة ونحن نحمد الله الذي لا شيء كمثلته ونلجأ إليه في أمرنا كله ونسئله أن يوزعنا شكر احسانه وفضله وعندنا لجانبكم المرفع تكربة نستوفيها ورعاية ننتهي إلى الغايات فيها وعلمنا بمحلكم الشهير ومكانكم الخطير يستدعي الزيادة من ذلك ويقضيها وإلى هذا أرشدكم الله لأحسن المذاهب ووالى لكم الخير المتتابع والمتعاقب فانا لم نزل نمح من وصل من جهاتكم وانخرط في سلك طاعتكم من التجار المترددين وغيرهم من ذوي الحاجات أجمعين ونوسعهم احسانا وانعاما ونسير عليهم في جميع مطالبهم وجملة مآربهم اجمالا واکراما ولم نضيق عليهم قط في جميع ما أرادوا ان يوسقوه لبلادهم ويحملوه في صدرهم ويرادهم من زرع وغيره من الامور التي يقضوا منها الوطر ونرتكب فيها في ديننا الخطر مرافقة لهم فيه أرجع لهم وتوسعة في كل الأحوال عليهم.

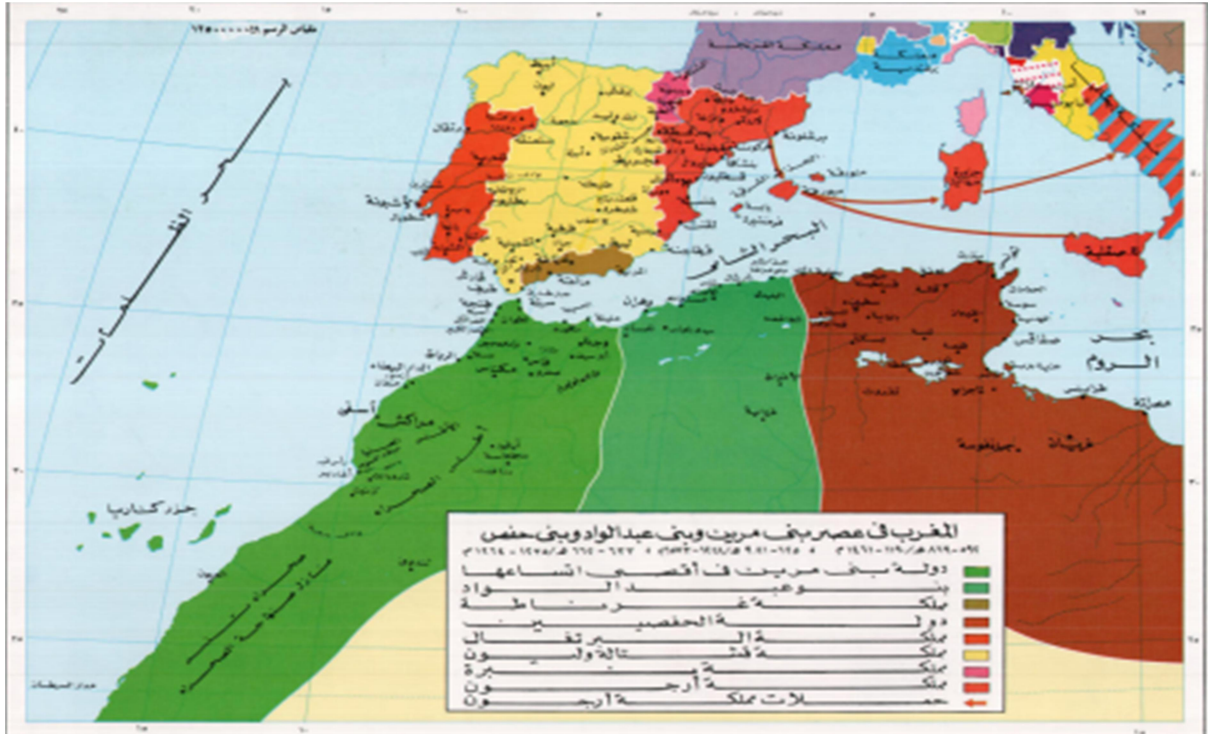
ومع هذا عمدت طائفة من القطلانيين في اجفان معدين إلى مرسانا الشهير مرسى وهران المحروسة الكبير وحملوا منه على جهة العمد العدوان والجرأة والاقدام وهتكوا حرمة السلطنة وحق الاسلام جفن موسوقا بالزرع وغيره لتجار اندلسيين كانوا ارادوا الوجه به الى بلاد المسلمين واستولوا على الجفن بما فيه وذكر لنا فيه وذكر لنا أنهم كلهم الذين حملوا الزرع في القرقورة المعروفة بالحي القطلاني بعدما وصل إلى بلادكم توجه تلقاء ما ذكرناه لكم فلما رأينا أن هذه النازلة وقعت

وأحوال من يرد علينا بالأجفان تشتت وتشعبت وجهنا لكم الآن خدينا الحظي لدينا الشيخ المكرم المرعي الوجيه الحظي الموقر المحرم الأفضل الأكمل الأمجد أبا عبد الله محمد بن الشيخ المكرم المرعي الوجيه الحظي المبرور الموقر المرحوم المغم أبي الزبير طلحة الباتلشي حمله الله تعالى على كاهل السلامة وبلغه الأمل والأمان في حالي الممر والاقامة ووالى له الخير ووصل له الكرامة وأودعناه ما ينهيه اليكم من مقاصد الاكرام والبر الموفر الأقسام ليخاطبكم بهذه الأحوال ويطالعكم بما لكم عندنا من القبول والاقبال علما بان ذلك يستلزم منكم المسرة ويرد عنكم ما يكفي ان شاء الله عنه بموصل الاكرام والمبرة وحملناه معنى الصلح بيننا وبينكم ما يلقى ان شاء الله مشافهة اليكم ومحاولة ابرامه والمفاوضة في عقده واحكامه واردناه منكم العناية بأمره وأن تعاملوه ما تشكرون على بدله وما يكون في ذلك من المصلحة لنا ولكم فشيء لا يخفى عليكم ولا يغيب عنكم فالتلقوا ذلك بحقه محمولا على صحة الحق وصدقة وكل ما يرد من جهتم فوارد على البر والتكرمة فننتهي فيه الى الغاية المتممة ورأينا أرشدكم الله تعالى ووفقكم لما يرضى به عنكم من تتميم هذا المقصد والبلوغ منه إلى الأمد الأبعد أن وجهنا لكم أيضا صحبة رسولنا المذكور ما يلقى لكم مشافهة ان شاء الله معنى هذا الكتاب ويقرر ما عندنا لكم من الايثار الأسباب وهو قايدينا الكبير المرعي الخطير المكرم لدينا المنقطع بالخدمة اليانا جوان برمجلين القطلاني انجده الله فاذا انصرف رسولنا وقايدينا ان شاء الله من عندهم فنريد منكم أن توجهوا زيادة الى ما تلقونه اليه ممن تتخيرونه من خدامكم ومن خواص رجالكم في معنى القدر وأحكامه والصلح ومحاولة ابرامه فنحن نرتقب أثره ونصرف اليه من العناية والرعاية والقبول أوفى ذلك وأوفره والله سبحانه وتعالى يوفق لما يحبه ويرضاه ويقدم الخير والخيرة فيما قضاه ان شاء الله بطلول الله لارب لنا سواه وكتب في ربيع الآخر الذي من عام سبعة مئة وواحد وستين للهجري، عرفنا الله تعالى خيره وبركته بمنه وكرمه وحوله وفضله)).

(أرخت هذه الرسالة في 4 ربيع الثاني من عام 761هـ / 23 فيفري 1360 م).

انظر: عبد الرزاق شقدان، مرجع سبق ذكره، ص278.

الملحق رقم (3): خريطة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

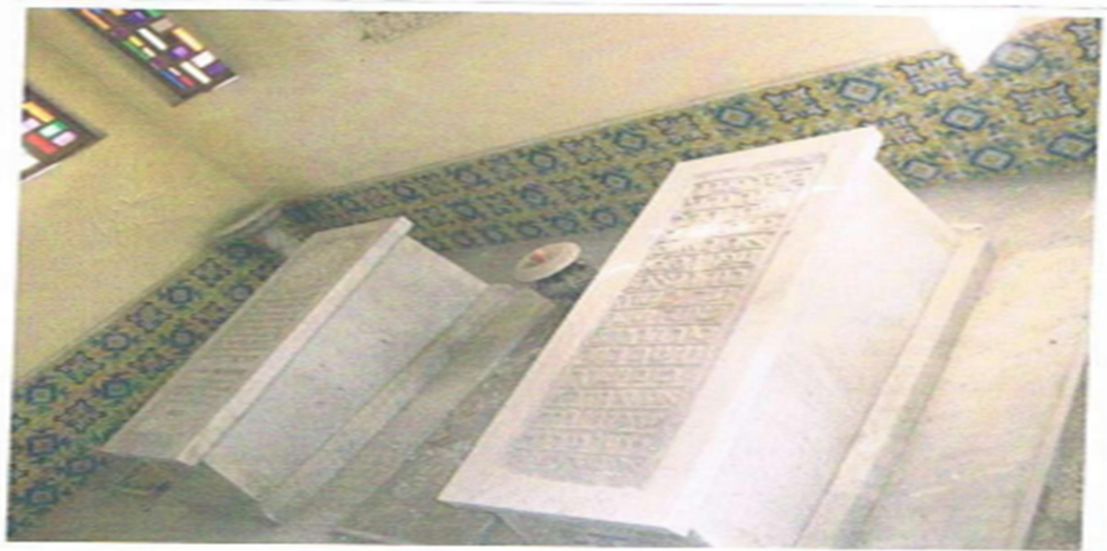


بالتصرف: حسن مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1987، ص166.

الملحق رقم (4): مقبرة يهودية (مدخل ضريح الحاخمان ريباش ورشباش)

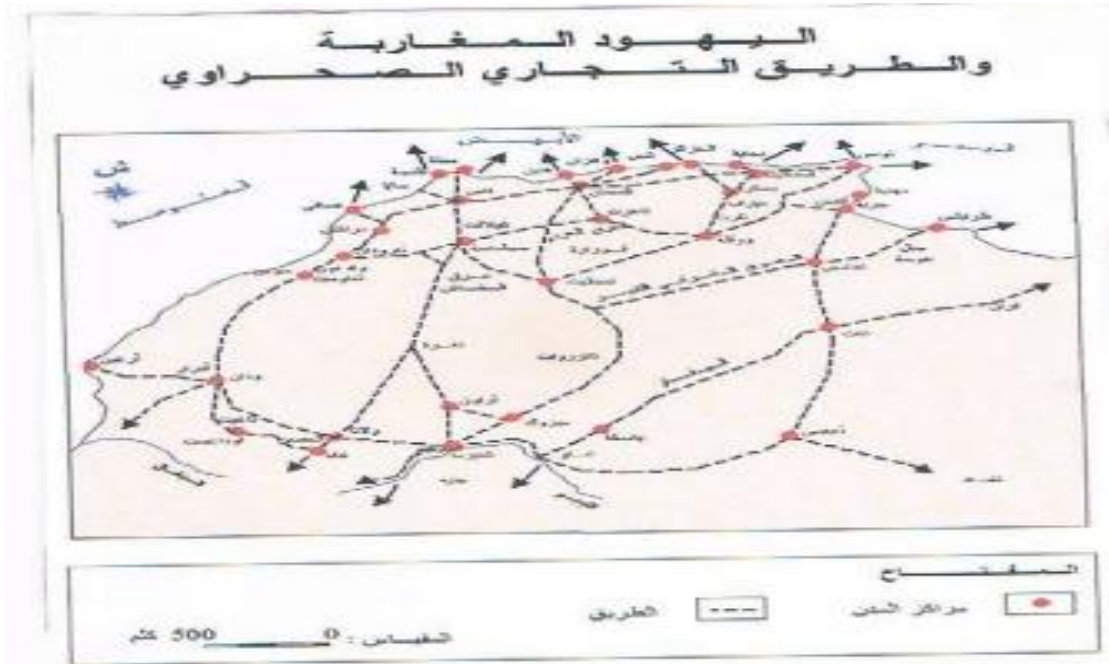


ضريح الحاخمان ريباش و رشباش بتلمسان



انظر: فاطمة بوعمامة، اليهود في الغرب الاسلامي، ص ص 280، 281.

الملحق رقم (5):



انظر: فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي، ص 255.



البيلو غرافيا

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

- 1- ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدمة، اعتنى: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، الناشر، بيروت، ط1، 2010.
- 2- ابن خلدون، عبد الرحمان، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ج6، 2000.
- 3- ابن خلدون، يحيى، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، مطبعة الأخوين الشرفاء، الجزائر، 1910.
- 4- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل، الدولة الزيانية بتلمسان، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2001.
- 5- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شر: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
- 6- المجيلدي، أحمد بن سعيد، التيسير في أحكام التعسير، تح: موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1980.
- 7- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: سمير مصطفى، المكتبة العصرية، بيروت، 2001.
- 8- المغيلي، محمد بن عبد الكريم، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.
- 9- النصبي، ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992.

- 10- العبدري، أبو عبد الله بن محمد، رحلة العبدري، تح: محمد الفاسي، ب.ط، الرباط، 1968.
- 11- العقابي، محمد أحمد بن قاسم، تحفة الناظر و غنية الذكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح: علي الشنوفي، مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، عدد 1، دمشق، 1965، 1966
- 12- القلقشندي، أبو العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ت
- 13- أبي الفتح المقرئزي، المغرب في ترتيب المغرب، تح: محمد فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة لبنان الناشر، بيروت، 1999.
- 14- الشهرستاني، أبو الفتح بن عبد الكريم، الملل والنحل، تح: محمد السيد الكيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1980
- 15- التجاني، محمد بن أحمد، رحلة التجاني، تح: حسن حسين عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.
- 16- التنسي، محمد بن عبد الله، تاريخ دولة الأدارسة من نظم الدر والعقبان، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 17- التنسي، محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تح: محمد بو عبد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985
- 18- الترجمان عبد الله، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تح: محمود علي حماية، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1984.
- 19- ابن مريم، ابو عبد الله بن أحمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: محمد بن أبي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

- 20- ابن المنظور، جمال الدين ، لسان العرب ، تح: علي بشيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988.
- 21- ابن عذارى ، أبو العباس بن أحمد بن محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، تونس، د.ت، 1983.
- 22- ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد، أحكام أهل الذمة، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ج1، ط1، 1995.
- 23- ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تح: أحمد حجازي السقا، الريان للتراث ، د.ت.
- 24- الإدريسي بن عبد الله، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- 25- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزي، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
- 26- البكري، أبو عبيد، المسالك والممالك، تح: جمال طلبية، دار الكتب العلمية، ط1 ، 2000.
- 27- الوزان ، الحسن بن محمد ، وصف إفريقيا ، تح: محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي للنشر ، ج1، بيروت ، ط1 ، 1983.
- 28- الزبيدي، محب الدين محمد، تاج العروس في جواهر القاموس ، تح: علي بشيري، دار الفكر، ج17، بيروت، 1994.
- 29- الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في أخبار الأقطار ، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

- 30- الحموي، ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، ج2، بيروت، 1977.
- 31- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة الجامعة، الإسكندرية، 1958.

ثانيا: المراجع

أ-الكتب العربية:

- 1- حاجيات عبد الحميد، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج3، الجزائر، 1984.
- 2- أبو عبد الله محمد، المدخل إلى الشرع الشريف، مكتبة دار الفكر، القاهرة ، ج2، ب.ت.
- 3- حركات إبراهيم، المجتمع الإسلامي والسلطة في العصور الوسطى، أفريقيا الشرق للنشر ، الرباط، 1998.
- 4- الحبيب الخوجة، يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة، 1973.
- 5- الحساني، تاريخ الدولة الزيانية(الأحوال الاقتصادية والثقافية) ، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.
- 6- الطمار محمد عمرو، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
- 7- كواتي مسعود ، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ،ط2،الجزائر،2009
- 8- مؤنس حسن ،فتح العرب للمغرب ،المكتبة الثقافية الدينية ،القاهرة ،بدون سنة النشر.

- 9- الممي حسن ،أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ،تقديم ،الشاذلي القليبي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988.
- 10- إبراهيم سليمان، معاملة غير المسلمين في دولة الإسلام، دار المنار، القاهرة، ط1، 1999.
- 11- الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تح و تق: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج2 ، الجزائر. ب.ت.
- 12- الناضوري رشيد ، تاريخ المغرب الكبير في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ط ، 1981.
- 13- سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1996.
- 14- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ج1، 1995.
- 15- سعيدان عمر، علاقات إسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م، منشورات تالة، الجزائر ، ط2 ، 2011.
- 16- السلاوي، أحمد الناصري، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2007.
- 17- عمارة محمد، الإسلام والأقليات ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2003.
- 18- عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد ، دار ابن النديم للنشر والتوزيع ،ط1، 2011.

- 19- عبدلي لخضر، التاريخ السياسي لمملكة تلمسان في عهد بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الحهوية بوهران، 2007.
- 20- فيلالي عبد العزيز، دراسات في تاريخ الجزائر و المغرب الإسلامي، دار الهدي للطباعة و النشر، الجزائر 2012
- 21- الأسيوطي، أنيس ثروت، نظام الأسرة بين الاقتصاد والجماعات البدائية في إسرائيل، دار الكتاب العربي، القاهرة، ب.ت.
- 22- فرج مراد ، القراءون والربانون، مطبعة الرغائب، القاهرة، 1918.
- 23- قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، دار الفكر، القاهرة، ط1، 1987.
- 24- رزق الله يوسف، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، دار الوراق للنشر، لندن، ط2، 1997.
- 25- الشريط عبد الله ، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980.
- 26- شفيق مقار، السحر في التوراة والعهد القديم، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1990.
- 27- خلاف محمد عبد الوهاب، وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، ب.ط ، القاهرة، 1980.
- 28- الجرناي، أبو الحسن علي، كتاب زهرة الأس في بناء مدينة فاس، نشر:ألفرد بيل، الجزائر، 1922.

- 29- بشير عبد الرحمان، اليهود في المغرب العربي(22هـ-462هـ/642م-1070م)، دار روتابرينت للطباعة، ط1، 2001.
- 30- بن شاوش الحاج رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 2011.
- 31- بوعياض محمود، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.
- 32- بورويبة رشيد، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج3، الجزائر، ب.ت
- 33- بونار رابح، المغرب العربي(تاريخه و ثقافته)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- 34- الجيلالي محمد عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، الجزائر، 2009.
- 35- الدارجي بوزيان ، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1993.
- 36- الوقاد محسن، اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجينزا، الهيئة المصرية للكتاب، 1999.
- 37- زنيير محمد، المغرب في العصر الوسيط(الدولة، المدينة ، الاقتصاد)، تن: محمد مغراوي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1999.

ب- الكتب المعربة:

- 1- كريبخال مرمول، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، المغرب، ج2، 1984. 25-
- كحيلة رضا، المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب جامعة القاهرة ، 1997.
- 2- دبل شارل، البندقية جمهورية أريستوقراطية ، تع: أحمد عزت عبد الكريم، توفيق إسكندر، دار المعارف، مصر، 1947.
- 3- حاييم زعفراني ، يهود المغرب والأندلس، تع: أحمد شحلان، مرسوم الرباط للنشر، ج1، 2000.
- 4- حاييم زعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، تع: أحمد شحلان، عبد الغاني أبو العزم، ج2، الدار البيضاء، ط1، 1987.
- 5- برنشفيك روبر، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تع: حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.
- 6- فشر، ه.أ.ل، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، تع: محمد زيادة، دار المعارف، مصر، 1950.
- 7- جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تر وتع: عطية القومي، وكالة المطبوعات ، الكويت ، 1980.
- 8- جوليان شارل أندري، تاريخ أفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي و البشير سلامة، الدار التونسية للنشر، ج2، ب. ت.
- 9- متر ادم ، الحضارة الإسلامية في القرن الربع هجري، تع : محمد عبد الهادي أبو ريده، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، الجزائر، 1976.

الموسوعات العلمية:

- 1- المسيري عبد الوهاب ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2003.
- 2- المسيري عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، ج4، دار الشروق، القاهرة، 1999.

الرسائل الجامعية

- 1- بشاري لطيف، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية في القرن 7هـ إلى 10هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 1987.
- 2- بوعمامة فاطمة، اليهدد في المغرب الإسلامي خلال القرن(7هـ-9هـ/13م/15م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008-2009.
- 3- دادة محمد ، اليهود في الجزائر في العهد العثماني منذ مطلع القرن18م حتى 1930، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق، 1985.
- 4- السنوسي يوسف، دور زناتة في المغرب الإسلامي من خروج الفاطميين حتى قيام المرابطين، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة عين الشمس، مصر، 1985.
- 5- العلاقي عبد الكريم، الأقلية اليهودية بتونس من اغتصاب الحماية إلى سنة 1948. شهادة تعمق في البحث، 1992.
- 6- عبد القادر أحمد، الحياة الأدبية في تلمسان في القرن 8هـ، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1988.

7- شقدان عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني(633هـ-662هـ/1535م-1555)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين ، 2002.

8- شريف عبد القادر ، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية الموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2003.

المجلات والدوريات:

1- أحمد مختار العبادي، من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، العدد 1، مجلد 11، الكويت، 1980.

2- بن حموس مصطفى، يهود الأندلس في تلمسان قضية النزوح والإقامة، مجلة الوعي، العدد المزدوج 3-4، 2011.

3- مبخوت بداوية ، الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، دورية القرطاس ، الدراسات الحضارية والفكرية ، عدد تجريبي ، الجزائر، 2009.

4- الحكيم بن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط السكة، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرد، المجلد6، العدد 1،2.

5- المنوني محمد، نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، العدد4،3.

6- نورمان بينز، الأفكار السياسية للقديس أوغسطين، مجلة كلية الآداب ، تر: أسامة زكي، جامعة الإسكندرية، العدد9، 1981.

7- سعيدوني ناصر الدين، يهود الجزائر وموقفهم من الحركة الصهيونية، مجلة الثقافة، العدد77، الجزائر، 1933.

8- سلطان سامي، الجاليات الإيطالية في الدولة الزيانية، مجلة سيرتا ، العدد10، الجزائر،
1980.

المراجع بالأجنبية:

- 1- Attallah Dhina, *Les états de l'occident musulman aux 9 et 13 siècles*, OPU/ENAL, Alger.1984.
- 2- Beorges marcair .
- 3- Brenshnig, *La Berberie orientale sous le Hafsides origines a la lucide 11 siècle*, Mais meuve, Paris, sans date.
- 4- Chouraqui (A), *Marches vers l' accident, Les Juif d'Afrique*, tra, Michale M. Bernet, Paris, PUF, 1952.
- 5- Eisenbet .M, *Les juifs en Algérie et en Tunisie*, *Revue Africaine*, Tome, XCVI, 1952.
- 6- Garrot .H, *Les juifs algériens, leurs origine*, *Librairie louis relin*, Alger, 1898.
- 7- Georges marchais, *le bérubérie musulman et l'orient ou moyen âge a bieredition* , Conti, paris, 1946.
- 8- L, de Tassy, *Histoire du Royaume d'Alger*, Henri du Sauzet, Amsterdam, sans date.
- 9- Mas- Latrie, *Traites de peux et de commerce et documents divers concertent*, *Les relations des chrétien avec les arabes de l'Afrique*, Paris, 1872.
- 10- Sid Ahmed Bouali, *Les deux grande sièges de Tlemcen*, ENAL, mote n °185, 1980.

الفهارس العامة

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس القبائل

فهرس الأماكن

فهرس الآيات القرآنية:

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
02	34	الإسراء	{ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا }
03	8-7	التوبة	{ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ إِشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ }
04	29	التوبة	{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }
08	28	التوبة	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }
08	05	المائدة	{ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ }

فهرس الأحاديث النبوية:

الصفحة	الرقم	الحديث
03	628	{سُنُوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ}
04	2655	{ أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ انْتَقَصَهُ مِنْ حَقِّهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسِهِ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }
06	5314	{ مَنْ ظَلَمَ نَمِيًّا فَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }
06	6456	{ مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ }

فهرس الأعلام:

—أ—

أبا سعید عثمان: 17، 18.

أبراهام القلعي: 32

إبراهیم بن إسماعیل بن علان: 18، 19.

ابن الحاج: 9.

ابن القيم: 5

ابن النعيم: 5

ابن خلدون: 13، 15، 17، 19، 46.

ابن منظور: 2.

أبو تاشفين: 44، 52.

أبي حمو الزیاني الثاني: 15، 43، 52، 57.

أحمد الناصر الزیاني: 31.

إدریس بن إدریس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب: 15.

الإدریسي: 12، 45.

إزنابيت: 21، 22.

أفرايم عنقاوة: 31، 37.

ألفونسو الثالث: 64.

الامام مالك: 9.

أوغسطين: 20، 25، 26، 29.

أوندريا: 21.

-ب-

بطليموس: 20.

البكري: 13، 40.

بوز الأب: 64.

-ت-

تراجان: 21.

التنسي: 15، 19.

تيتوس: 21.

-ج-

جابر بن يوسف: 18.

جوستينيان: 22.

-ح-

الحسن الوزان: 31، 32، 42، 49، 62، 63.

الحسن بن جابر: 18، 19.

الحسن بن حيون: 17، 18.

-خ-

الخليفة المأمون: 17، 43.

-د-

دكيوس: 25.

-ر-

رشباش: 37.

ريباش: 37.

-ز-

زكرار بن زيان بن ثابت: 19.

-س-

سالا بريمي: 64.

سبيريان: 25.

سجيج بن واسين بن يصلتين بن مسرى بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتري: 14.

السعيد الموحي: 43.

سيما أرنو: 66.

-ط-

طوبي أرنو: 66.

-ع-

عابد الوادي: 14.

عبد الحق بن منفعاد: 17.

عبد الرحمان بن عوف: 3.

عبد المؤمن بن علي: 16.

عمر ابن الخطاب: 3.

علي بن أبي طالب: 15.

-ف-

فيلاريس بيرنار : 66.

-ق-

قسطنطين : 25.

القلقشندي : 7.

-ك-

كسال : 64.

-ل-

لوجي دوتاينغ : 24.

-م-

ماسترو بروبونت : 64.

المجيلدي : 9.

المخضب بن عسكر : 16، 17.

مرمول : 62.

مقائيل بن عبد العزيز : 51

موسى بن صموئيل بن يهوذا (ابن الأشقر): 37، 57.

-ن-

نوح عليه السلام: 24.

-و-

الونشريسي: 30، 45.

-ي-

يحي بن خلدون: 15، 44.

يغمراسن بن زيان: 15، 19، 43.

يهوذا بن قريش التيهرتي: 39.

فهرس القبائل:

-أ-

الأدارة: 14، 15.

الأعزاز: 47.

الأعلاج: 47.

الأمازيغ: 21.

أهل الائمة: 2، 3، 4، 5، 7، 8، 9، 32، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57.

أهل الكتاب: 2، 4، 6.

أهل المغرب: 44.

أولو: 14.

-ب-

البربر: 24، 25.

بنو ورسطيف: 14.

بنو وللو: 14.

بنو يانكين: 14.

بني إسرائيل: 34.

بني القاسم: 15.

بني راشد: 18.

بني زيان: 12، 15، 23، 49.

بني عبد الواد: 12، 13، 14، 16، 17، 18، 19، 44، 58.

بني علي: 14.

بني مادين: 13.

بني مطهر: 14، 19.

بني يفرن: 13.

البيزنطيون: 22، 26.

-ت-

تومرت: 14.

-ج-

جوهر: 14.

-ح-

الحفصيين: 62.

-ر-

الرستميين: 24.

الروم: 5، 43.

الرومان: 25.

-ز-

زناتة: 13، 14، 16.

الزيانيون: 15، 16، 19، 56، 57، 62، 63.

-س-

السامرة: 4.

-ص-

الصابئة: 4.

صنهاجة: 18.

-ط-

طاع الله: 14.

-ف-

الفرس: 4، 21.

الفيثيقيون: 20.

-ق-

القاسم: 14.

م-

المجوس: 2، 3.

المرينيين: 16، 63.

المسلمين: 2، 3، 4، 5، 7، 8، 9، 27، 30، 32، 33، 34، 39، 55، 42، 48، 51، 52، 65.

المسيحيين: 23، 41، 45، 51، 52، 65.

مصوغة: 14.

معطي: 14.

مغراوة: 13.

الموحدون: 12، 16، 18، 42.

ن-

النصارى: 2، 3، 4، 8، 24، 26، 27، 28، 43، 44، 47، 49، 50، 51، 52، 57، 58، 63، 64.

نصوطة: 14.

و-

ورهطف: 14.

الوندال: 22، 26.

-ي-

يمكثن: 14.

اليهود: 2، 3، 4، 8، 9، 19، 20، 21، 22، 23، 30، 33، 34، 36، 38، 39، 40، 41،

42، 43، 44، 45، 50، 51، 52، 53، 45، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 61.

فهرس الأماكن والمدن:

-أ-

إثيوبيا: 22

أرزيو: 27، 44.

أرغون: 61، 62.

إسبانيا: 20، 21، 44.

الاسكندرية: 20، 65.

أشير: 34.

أفريقية: 12، 26، 59.

ألمانيا: 24.

الأندلس: 22، 45، 54، 55، 59.

أوروبا: 22، 24، 45، 50، 54، 55، 56، 58، 59، 61، 66.

إيطاليا: 24، 44، 54، 61.

-ب-

باغاية: 27.

بجاية: 23، 38، 59، 60، 61.

البحر المتوسط: 12، 43، 48، 58، 59، 62.

البرتغال: 23، 54.

برشلونة: 40.

برقة: 20، 21، 22، 26.

بشار: 34.

البطحاء: 59.

بلاد الجريد: 27.

بلاد الزاب: 12، 16، 27.

بلاد السودان: 12، 49، 54، 55، 58، 60، 61، 62، 66.

بلاد المغرب: 12، 13، 19، 22، 24، 25، 26، 28، 44، 50، 53، 57، 60، 61.

بلاد واماتو: 17.

بلنسية: 66.

البندقية: 45، 61، 62.

بونة: 27.

-ت-

تازا: 12، 13.

تاكرايت: 33.

تبسة:60.

تطوان: 28.

تلمسان: 12، 13، 16، 17، 18، 23، 27، 29، 34، 39، 40، 44، 45، 46، 47، 50،
51، 52، 56، 57، 58، 59، 61، 64، 65، 66.

تمنطيط:60.

تنس: 34، 61، 62.

توسكانا: 24.

تونس: 59، 60.

تيزيل: 60.

تيهت: 13، 27، 34، 42.

-ج-

جبال درن: 13.

جزائر بني مزغنة: 12، 27.

الجزائر: 13، 23، 49، 59، 60، 64.

جنوة:45، 61.

-ح-

حارة اليهود: 30، 32.

الحجاز: 7 ، 8.

حي أكادير: 33.

-د-

الدولة الرستمية: 13.

الدولة الرومانية: 21، 24، 25.

الدولة الزيانية: 13، 14، 16، 19، 33، 40، 45، 46، 50، 51، 52، 56، 57، 58، 59،

60، 61، 62، 63، 64.

الدولة المرابطية: 18.

دولة الموحيدين: 12، 17، 18.

-ر-

ريض النصارى: 44.

روما: 26.

-س-

سببة: 61.

سجلماسة: 16.

سرت: 26.

سردينيا: 61.

سطيف: 59، 63.

السودان الغربي: 59.

سوسة: 27، 59.

-ش-

الشام: 5.

شمال إفريقيا: 20، 21، 22، 24، 26، 35، 38.

-ص-

صفاقص: 27، 59.

صقلية: 44، 46، 54، 61.

-ط-

طبنة: 27.

طرابلس: 26، 59.

طنجة: 61.

طنجة: 28.

-ع-

العراق: 5.

عناية: 59.

-غ-

غرداية: 34.

- ف -

فارس: 55.

فجيج: 16.

فحص مسون: 17.

فرنسا: 24.

فلسطين: 21، 22، 55.

-ق-

قابس: 27، 59.

قالمة: 59.

قرطاجة: 20.

القسطنطينية: 26.

قسطنطينة: 27، 59.

قشتالة: 59.

قلعة بني حماد: 34.

-ك-

كرمان: 55.

-ل-

ليفورن: 24.

-م-

مازونة: 59، 61، 62.

مايورقة: 61، 64، 66.

مراكش: 59.

المرسى الكبير: 60، 62.

مرسيليا: 61.

مزگران: 65.

مستغانم: 61، 62، 64.

المشور: 33.

مصر: 5، 20، 22، 55.

المغارة: 39.

المغرب الأدنى: 12، 27، 56، 59، 65.

المغرب الإسلامي: 12، 20، 50، 51، 59.

المغرب الأقصى: 12، 16، 22، 28، 54، 56، 59.

المغرب الأوسط: 12، 13، 14، 15، 16، 17، 19، 23، 27، 29، 39، 40، 41، 42، 43،

44، 45، 46، 47، 48، 50، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 59، 64، 65.

مكناسة: 59.

مليانة: 27، 43.

ميلة: 59.

-ن-

نقاوس: 60.

-ه-

الهند: 57.

هنين: 57، 59، 60، 61، 62، 65.

هولندا: 26.

-و-

واحة أجدابيا: 26.

واحة توات: 34.

واد ملوية: 12، 16.

وادي الصومام: 12.

وادي مغروش: 60.

وجدة: 12.

وليلي: 28.

وهران: 16، 23، 59، 62، 65.

ي-

اليمن: 22

اليونان: 43.

الفهرس العام

فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
	الشكر والتقدير الإهداء
أ	المقدمة
الفصل التمهيدي	
02	التعريف بأهل الذمة
05	شروط عقد الذمة
الفصل الأول	
الدولة الزيانية والتواجد الذمي بالمغرب الأوسط	
12	الدولة الزيانية
12	المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط
13	أصل بني زيان
16	تأسيس الدولة الزيانية
19	تواجد أهل الذمة بالمغرب الإسلامي
19	الاستقرار اليهودي بالمغرب الإسلامي
24	الهجرات المسيحية
الفصل الثاني	
الحياة الاجتماعية لأهل الذمة	
30	الحياة الاجتماعية لليهود في المجتمع الزياني
30	مظاهر الحياة الاجتماعية لليهود
36	النشاط الثقافي -الديني لليهود
40	الحياة الاجتماعية للنصارى
40	مظاهر الحياة الاجتماعية للنصارى في المجتمع الزياني
45	النشاط الديني والثقافي للنصارى

الصفحة	المحتوى
	الفصل الثالث أهل الذمة ودورهم في الحياة الاقتصادية
49	النشاطات الاقتصادية لأهل الذمة
49	النشاط الزراعي
51	النشاط الصناعي
56	النشاط التجاري
58	أهم الطرق والمبادلات التجارية لأهل الذمة
58	الطرق التجارية
61	المبادلات التجارية
68	الخاتمة
71	الملاحق
81	البيبلوغرافيا
95	الفهارس العامة
116	فهرس الموضوعات